قافلة الزيت

صفر ١٣٨٧
مايو - يونيو ١٩٦٧









بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

صورة الغلاف

لقطات تمثل ابرز اعمال ارامكو خلال عام ١٩٦٦



تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

القافلة تسير

مشاعل في الطريق

تساءل بعض القراء عن مقال نشرته القافلة تحت عنوان « العقاد المعلم الثالث » بعد أرسطو والجاحظ ، فكتب أحدهم يقول ان المراجع التي لديه تؤكد بأن المعلم الثاني بعد أرسطو هو أبو نصر الفارابي وان الثالث هو محمد الباقر ..

وذكر قارىء آخر انه بحث في مكتبته عن هذا الموضوع فوجد أن المعلم الثاني هو أبو نصر الفارابي الفيلسوف العربي المسلم الذي عاصر الدولة العباسية . وهذا طبعا يؤيد ما جاء في كلام القارىء الأول .

وتساءل قارىء ثالث عن كلمة معلم وما هي الصفات التي يجب أن يتميز بها المرء ليستحق مثل هذا اللقب .

ولسنا هنا في معرض نقاش في هذا الموضوع ولا في موضع مفاضلة بين معلم وآخر ، ولسنا بقادرين على مثل هذا لو أردناه. ولكن هذا الموضوع يثير أكثر من سؤال . فقد يتساءل أحدنا على ماذا بنى الأقدمون مثل هذه الأحكام فعينوا المعلمين في درجات ومراكز ، وكيف تسنى لهم ذلك وقد زخر تاريخ البشرية باسماء الكثيرين ممن قدموا للعالم خدمات جلى في ميادين العلم والثقافة ؟ وهل هذه الألقاب هي حقا دليلنا في معرفة رجال الفكر ؟

المعلم هو كل من يعلم غيره فيعطيهم من عقله ونفسه وعمره . وفي أبسط الحالات يجب أن تتوفر لدى المعلم الى جانب الضمير الحي ميزتان هما سعة المعرفة والاطلاع والمقدرة على افادة الغير من علمه . وتطلق هذه اللفظة على من يتخذ التعليم مهنة له كما تطلق على كل ذي خبرة ومران في مهنة من المهن . وطالما ان على المعلم أن يعلم غيره يمكن أن نقول ان المفكر لا يعتبر معلما اذا بقيت أفكاره محصورة لديه لا يستنير بها غيره من أبناء مجتمعه ، والأديب لا يكون معلما ما لم يسطر أبحاثه ودراساته وآراءه وينشرها لفائدة غيره ..

ولا يختلف اثنان في ان تحصيل المعارف والخبرات من جميع السبل وأهمها المطالعة والدراسة والأبحاث والحياة ، وصهرها في بوتقة العلم والثقافة هما من أنبل ما يمكن للفرد أن يقوم به . ولكن الأنبل من هذا كله ان ننقل هذا العلم الى غيرنا فيستفيدون مما نعرفه نحن ويزيدون عليه من أنفسهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . ولولا اتصال العلوم والمعارف والخبرات من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر لكان علينا ان نبدأ دائما من النقطة التي بدأ منها آباؤنا ، ولما تمكنت الحضارة البشرية من السير قدما في سبل الرقي والتطور .

فأهم غاية من غايات العلم اذن هي التعليم ، فالفيلسوف يعلمنا كيف ننظر الى الكثير من أمور الحياة بطريقة يراها أفضل من غيرها ، والمخترع يعلمنا كيف يمكننا أن نستفيد من نظريات علمية معينة ، والرسام يعلمنا نواحي جمالية بطريقة يحس بها هو ، والصناعي يعلمنا كيف نصنع من قطعة من الخشب دولابا مثلا وكيف نحول بعض الأسلاك والمحولات الى جهاز راديو .. وقس على هذا .

فكل فرد منا يمكنه أن يكون معلما في الحقل الذي يعمل فيه ، بل على كل فرد عامل في المجتمع ان يكتسب هذه الصفة باكتساب المزيد من الخبرة والمعرفة والعلم ، وافادة غيره بعلمه ومعرفته .

وترتيب المعلمين في درجات ما هو الا اتفاق بين بعض الأفراد اعترافا منهم بفضل هؤلاء الرجال الذين أعطونا الشيء الكثير من أنفسهم وعقولهم فيسروا لنا طرق المعرفة وسبل الرقي والحضارة . ولا يعتبر مثل هذا الترتيب انتقاصا من قيمة غيرهم من الاعلام الذين لم يخل منهم عصر من العصور ..

ويكفي أي فرد منهم فخرا أن يكون معلما .. مجرد معلم .

فؤاد الريس

قافلة الزيت

العدد الثاني — المجلد الخامس عشر

تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

مديرها ورئيس تحريرها : شفيق الدين عاشور

المحرر المساعد : فؤاد الريس

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ . الظهران ، المملكة العربية السعودية

من سمات الشعر

للدكتور ابراهيم انيس

للشعر سمات مهما قيل في شأنها ، ومهما تباينت آراء النقاد ودارسي الأدب في علاجها ، فقد أصبح معظمها الآن واضحا جليا للكثير منهم بحيث يسهل تحديدها على الدارسين له .

فللشعر مثلا نظام موسيقي هو أوزانه وقوافيه التي قد يدرسها اللغوي الحديث دراسة مؤسسة على القوانين الصوتية ، وكذلك من سمات الشعر أن الشاعر قد يؤثر من ألفاظ اللغة قدرا خاصا يطلق عليه عادة الألفاظ الشعرية ، وهي تلك الألفاظ التي يتبناها الشعراء ، ويحرصون عليها أشد الحرص ، برغم اختلاف النقاد في تحديد هذه الألفاظ وصفاتها .

أما أدق السمات للشعر فجنوحه إلى الخيال والتصوير والرمز والايحاء . ويلجأ الشاعر في التعبير عن صوره وأخيلته إلى المجازات والاستعارات رغبة منه في تجلية تلك الصورة والأخيلة ، حتى تنفذ إلى القلوب فتحركها ، والى المشاعر فتثير مكنونها . والشاعر في رمزه وايحائه يهدف الى شحن الألفاظ بأكبر قدر من المعاني ، ذلك لأنه يستغل إلى أبعد حدود الإستغلال ظلال المعاني ، وما توحي به من ذكريات وتجارب ذات أثر قوي في النفوس .

ولعل الرشيد في قوله المأثور حين وصف البلاغة لم يكن يعني سوى الشعر ، إذ يقول فيما يرويه عنه المأمون «البلاغة التباعد من الاطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى» .

فالإيجاز في اللفظ من أوضح سمات الشعر ، والاطناب في المعاني عن طريق الايحاء من أهم أهداف الشعراء . ويكفي أن يحاول أحدنا نثر أبيات لشاعر مجيد ، ليتضح له أن ما تتطلبه تلك الأبيات من عبارات نثرية تزيد كثيرا عما تتضمنه تلك الأبيات من الفاظ ، وأن الناثر مهما حاول الاقتصاد في جمله ، سيجد نفسه ينساق انسياقا إلى التعبير عما يوحيه الشعر من ظلال المعاني ، وما يثيره من الخواطر ، وان لم يعبر الشعر عنها تعبيرا مباشرا .

دعنا هنا نقتبس شيئا مما أثارته أبيات ثلاثة من شعر المتنبي في ذهن الأديب الكبير الدكتور طه حسين في كتابه «مع المتنبي» .

بدأ المتنبي قصيدته بقوله :

ليالي بعد الظاعنين شكول
طوال وليل العاشقين طويل
يبنّ لي البدر الذي لا أريده
ويخفين بدرا ما اليه سبيل
وما عشت من بعد الأحبة سلوة
ولكنني للنائبات حمول

فيستلهم أديبنا الكبير من هذه الأبيات الثلاثة خواطر وأفكار دبجها في كتابه فملأت صفحات كثيرة منه ، ويختتمها بقوله : «أحق أن هذا البدر الذي تخفيه الليالي على المتنبي هو صاحبته هذه التي يزعم أنها ظعنت عنه ، وان الأسباب قد تقطعت به من دونها ؟ لم لا يكون هذا البدر رمزا لهذه الآمال النائية ، وهذه الهموم البعيدة التي تاقت اليها نفس الشاعر منذ أحس الحياة ، وقدر على النشاط ، والتي أنفق ما أنفق من حياته دون أن يبلغها أو يدنو منها ؟ » . ثم يقول : « كل هذا أفهمه من هذه الأبيات الثلاثة الحزينة التي بدأ بها المتنبي قصيدته ، وما يعنيني أن المتنبي قد أراد هذا أو لم يرده ، فأنا لا أطلب من الشاعر أن يفهمني ما أراد حقا وانما أريد من الشاعر البارع — كما أريد من الموسيقي الماهر — أن يفتح لي أبوابا من الحس والشعور ، ومن التفكير والخيال ، وما أشك في أن المتنبي قد وفق الى هذا التوفيق كله في هذه الأبيات» !

غير أننا لا ندعي أن الشعر مهما جاد يثير في كل الأذهان مثل هذا القدر من الصور والمعاني ، ولكنه في كل حال يحرك النفوس المستعدة لفهمه ، ويثير فيها قدرا من الأفكار والخواطر تفوق كثيرا ما يضمنه الشعر من ألفاظ وعبارات .

وترتب على رغبة الشاعر في شحن ألفاظه بقدر كبير من المعاني ان كان للشعر نظام خاص في ترتيب تلك الألفاظ وهندستها ، يميزه عن المألوف المعهود في نظام النثر . ولسنا نزعم أن للشعر نظاما في ترتيب كلماته يباين كل المباينة نظام النثر ، بل نقول أن الشاعر كالطائر الطليق يحلق في سماء من الخيال ، وينشد الحرية في فنه ، فلا يسمح لقيود اللغة أن تلزمه حدا معينا لا يتعداه ، وهو لذلك يلتمس التخلص من تلك القيود كلما وجد الى ذلك سبيلا . فهو في أثناء نظمه لا يكاد يعنى بتلك القيود اللغوية الا بقدر ما تخدم أغراضه الفنية ، وبقدر ما تعين على الفهم والايحاء . ولا غرابة أن نرى في ترتيب كلماته أمرا غير مألوف في ترتيب كلمات النثر . ولا يزال كذلك حتى يفد اليه أحد اللغويين فيدله عليه ، ويلفت نظره اليه . وهنا قد يثور الشاعر لفنه ، وتنشب تلك الخصومات التي روي لنا طرف منها بين الشعراء واللغويين من القدماء .

ومما يقرره المحدثون من اللغويين أن مخالفة النظام المألوف في ترتيب الكلمات قد تقع أيضا في بعض الأساليب النثرية التي تشبه الشعر ، كبعض الخطب العنيفة الحماسية وفي الأسلوب

الانفعالي العاطفي . ولذلك لا ندهش حين يوصف تعبير وقع في النثر بأنه من تعابير الشعر . أو مما يكثر استعماله في الأشعار ، كقول علي ابن ابي طالب :

« أيهـا الناس المجتمعة أبدانهـم المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهي الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء » .

وكقول زياد بن أبيه :

« حرام علـيّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما واحراقا » .

ففي تعبير « زياد » تقدم المسند المنكر دون اعتماد على نفي أو استفهام ، وهو ما لا نكاد نلحظه الا في شعر الشعراء كقول المتنبي :

بـاد هواك صبرت أم لم تصـبرا
وبكاك إن لم يجـر دمعك أو جرى

تلك هي السمة التي لم يفطن اليها القدماء من النحاة حين اعتمدوا في تقعيد القواعد على الشواهد الشعرية ، اعتقادا منهم أن رواية الشعر أدق من رواية النثر ، وان احتمال التغيير والتبديل في الشعر أقل من احتماله في المروي من النثر . ولكن تحرجهم من الاستشهاد بالمنثور قد جعلهم في بعض الأحيان يحكمون على الظاهرة اللغوية الواحدة بتعدد الأوجه . ثم ان هذا الشعر الذي اعتمدوا عليه لم يسعفهم في كل الحالات ، وأمدّهم بظواهر وأساليب وقفوا منها مشدوهين حائرين ، وسموها بالضرورات الشعرية .

وقد ظل المتأخرون من النحاة يتوارثون تلك الشواهد الشعرية ، جيلا بعد جيل ، حتى وصل الأمر بها ان حلت بينهم محل القداسة ، يتوفرون على شرحها ، ويفردون لها المؤلفـات المستقلة . وقد خطرت فكرة الضرورة الشعرية بأذهان النحاة الأولين حين وجدوا التباين بين نظام النثر ونظام الشعر في بعض الحالات ، وفسروها على أن الناظم قد اضطر اضطرارا لسلوك هذا المسلك خضوعا للوزن الشعري والقوافي الشعرية .

وبلغت عناية النحاة بتلك الضرورات الشعرية ان حكموا على بعضها بأنها مباحة سائغة ، وعلى البعض الآخر بأنها من الضرورات القبيحة التي يجدر بنا أن نتحاشاها ! ! أي انهم كانوا يتصورون الشعراء مكبلين بقيود ثقيلة أثناء نظمهم ، وأنهم لجأوا الى تلك الضرورات على مضض منهم ، ولم يتصوروا أن الشاعر يميل الى الحرية . ويحرص على الخروج على المألوف ، مثله في هذا مثل كل فنان لا يكاد يعبأ بقيود أو تقاليد كلما وجد الى ذلك سبيلا .

ومن أمثلة الخلاف بين نظام النثر ونظام الشعر ما أشار اليه النحاة أنفسهم حـين قرروا :

ان الأسلوب القرآني يلتزم التوكيد بعد « امّا » مثل قوله تعالى « فاما تَرَيِنَّ من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما » ، ولكن الشعراء لا يكادون يلتزمون هـذا ، وقد خلا كثير من الشعر من التوكيد بعد اما ، واستشهدوا على هذا بقول الشاعر :

يا صاح امّا تجدني غـير ذي جدة
فما التخلي عن الخلان من شيمي

وان « عسى » تتطلب « أن » في خبرها ، ولكن من الشعراء من يقول :

عسى الكرب الذي أمسيت فيـه
يكون وراءه فـرج قريـب

وأن معمول خبر « ان » لا يتقدم عليه ، ولكن الشاعر يقول :

فـلا تلحني فيها فإن بحبهـا
أخاك مصاب القلب جمّ بلابله

ولم يكن هؤلاء النحاة يتصورون أن الشاعر قد تتزاحم عليه الأفكار والخواطر فتتزاحم لهـا الألفاظ ويختلط بعضها ببعض ، فكأنما كان كل منها يحاول أن يسبق أخاه ، وأدى هذا الى أن جاءنا الشاعر بنظام لغوي غير مألوف في النثر .

اما أهل البلاغة من المتقدمين فلا نكاد نلحظ من كلامهم أنهم يفرقون بين نظام النثر ونظام الشعر ، فيقول أبو هلال العسكري مثلا : « فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه ، وجودة مقطعه ، وحسن صنعه وتأليفه ، وكمال صوغه وتركيبه » ! على أنّا نجد بعض المتأخرين منهم « كالسبكي » يعلق على أقوال البلاغيين بقوله : « ثم ذلك الضعف ربما كان في النثر دون الشعر ، لأن ضرورة الشعر كما تجيز ما ليس بجائز فقد تقوي ما هو ضعيف ، فعلى البياني أن يعتبر ذلك ، فربما كان الشيء فصيحا في الشعر غير فصيح في النثر » !

ومن كل ما تقدم نرى أنه ليس من المغالاة أن يقال أن الشاعر يفرّ من كل ما هو مألوف معهود ، ويحلق في سماء الخيال وقد سيطرت عليه الصور والأخيلة سيطرة تامة ، فيسوق لنا في شعره نظاما غريبا . فهو لحرصه على موسيقاه قد ينحرف عن النظام المألوف في النثر . وهو لنزوعه الى الحرية ككل فنان قد لا يعبأ بنظام الكلمات على النحو المعهود في النثر . وهو لرغبته في أن يحمّل القليل من الألفاظ الكثير من الأفكار والخواطر يتجه صوب الايجاز والتخلص من كل فضلات الكلام .

وقد قمنا بجولة سريعة في ديوان المتنبي ، وقفنا بعدها على نواح من الأساليب ينفرد بها الشعر ، أو ينفرد بها شعر المتنبي خاصة . منها موقفه من المفعول بـه الذي لا يكاد في الكلام المنثور يتقدم على فاعله ، فنراه في شعر المتنبي يسير وفق هوى الشاعر ووفق فنه لا يلتزم مكانا خاصا في نظام الجملة الشعرية ، فاستمع اليه يقول :

أمـن ازديارك في الدجـى الرقباء
إذ حيث كنت مـن الظلام ضياء

وقولـه :

يهـز الجيش حـولك جانبيـه
كمـا نفضت جناحيها العقاب

بل قد يقدم المفعول على ركني الجملة دون الاعتماد على نفي أو استفهام ، وهو ما لا نكاد نظفر له بمثل واحد في نثر الكلام ، مثل قوله :

بغـيرك راعيا عبـث الذئـاب
وغـيرك صارما ثلم الضـراب

كذلك موقفه من المسند المنكر الذي يقرر النحاة انه لا يصح أن يتقدم على المسند اليه الا حين يعتمد على نفي أو استفهام ، ولكن المتنبي لا يعبأ بهذا ويقول :

وما انا بالباغي على الحب رشوة
ضعيف هوى يبغي عليه ثواب

وهكذا يحلق الشاعر في سمائه ، وينصرف بكل نفسه وقلبه الى صوره وأخيلته ، فلا يكاد يحفل بترتيب الكلمات ترتيبها في المنثور ، فيفصل بين ما يجب أن يوصل من اجزاء الجمل ، ويقحم في ثنايا شعره من العبارات الاعتراضية ما يحفزنا على الغوص عن لآلئه ، فاستمع الى المتنبي في هذه الأبيات :

وان محالاً — إذ بك العيش — أن أرى
وجسمك معتـل وجسمي صالح
برد حشاي — إن استطعت بلفظـة
فلقد تضر — إذا تشاء — وتنفع
إن كان سرّكم ما قال حاسدنـا
فما لجرح — إذا أرضاكم — ألم

بل بلغ الأمر بالمتنبي ان تزاحمت عليه الأفكار فاختل ترتيب الكلمات في ذلك البيت المشهور الذي ينكره أهل البلاغة ، ويتندرون بـه وهو :

أنّى يكون أبـا البريـة آدم
وأبوك والثقـلان أنت محمـد

الندوة الكيلانية الأدبية

كانت ... فبانت

بقلم الاستاذ علي حافظ

كانت ندوة الأستاذ الأديب العربي الكبير كامل الكيلاني من أدسم الندوات الأدبية التي عرفها تاريخ الأدب العربي منذ قرون عديدة . وكانت تضم الى الأدب العربي أدب بعض أمم أخرى ، وكان المستشرقون من كل جنس والظامئون الى الأدب والعلم والمعرفة يرتادونها .

ورغم تواضع هذه الندوة في مكانها وأثاثها ، فانها عملاقة في أثرها ونفعها وفيما كانت تحتضنه من أفكار وأشعار وآثار . وكان قطب الرحى فيها مؤسسها الفذ الأستاذ كامل كيلاني رحمه الله ، الذي اعتاد أن يدعو اليها رجال الأدب والعلم وقادة الرأي والفكر والعلماء المستشرقين ، وكان عنده من المؤهلات الخلقية والعلمية والأدبية والفصاحة اللسانية ما يحبب هذه الندوة الى رجال الأدب والمعرفة الذين يتلاقون على صعيدها للمناقشة وتبادل الرأي .

وكان فارس الندوة رحمه الله يعقب على المتخلفين ، فيزور مريضهم ويرضي ساخطهم . ولم تكن الندوة تخلو من جدل أدبي واختلاف في الرأي قد يؤدي الى سخط البعض ، بيد أن الأستاذ الكيلاني كان لا يتركه حتى يورده المورد العذب .

وكانت بيننا وبين الأستاذ الكيلاني أواصر صداقة قوى روابطها صديق الطرفين الأستاذ سيد ابراهيم ، فكان رحمه الله عندما يعلم بوجودنا في القاهرة يتصل بنا هاتفيا ويزورنا ويدعونا دعوة عامة لحضور الندوة ما دمنا في مصر ، فنرتاد ذلك المورد العذب ، وهو كثير الزحام .

تذكرت هذه الندوة ورجالها ومنهم ثلاثة من أصدقائنا ، هم الدكتور مختار عبد اللطيف ، والأستاذ محمد علي الحوماني رحمهما الله ، والأستاذ سيد ابراهيم .

تذكرتها عندما أخذت من الدواوين الشعرية التي في مكتبتي ديوان (اللزوميات) للمعري لأقرأ شيئا من شعره الذي التزم فيه ما لا يلزم ، وقد وقع ناظري على قصيدة منها هذه الأبيات :

لعمري لخير الذخر في كل شدة
الاهك ترجو فضله وإلاه
وان نلت من دنياك للجسم نعمة
من العيش فاذكر دفنه وبلاه
متى يصرم الخل المسيء فلا ترع
فافضل من وصل اللئيم قلاه

ولقد تعرضت الندوة الكيلانية في ليلة ما لأبي العلاء بالنقد في اظهار المحاسن والمعايب في آن واحد ، وتزعم الدفاع عن أبي العلاء الأستاذان الكيلاني وسيد ابراهيم ، وهما من أعلم أدباء العربية بأبي العلاء . فقد شبا على دراسته وحفظا الكثير من أشعاره وكلامه . حتى طه حسين صاحب (ذكرى أبي العلاء) و (تجديد ذكرى أبي العلاء) ما اعتقد انه درس أبا العلاء كما درساه . فقد بلغ من حبهما له وتتبع حياته وآثاره انهما كانا يحسان كأنما يعيشان معه ، فلا تفوتهما شاردة ولا واردة من حياة أبي العلاء لا يعرفانها . وبلغ من حبهما له أيضا ان تأولا كل ما جاء في ديوانه مما يعتبر زيفا ، حتى اذا واجههما أحد بما لا مجال للشك أو التأويل فيه يقولان انه رجع عن هذا الرأي ويقيمان ألف دليل ودليل على كلامهما .

ولما انتهى النقاش وتحقق النصر لفارسي الندوة تلك الليلة الاستاذين الكيلاني وسيد ابراهيم ، قال الكيلاني — وقد أراد أن يروح على المنتدين — من يعرف الذي يعمل بغير يده ويستطيع بغيره ويقدر بسواه ؟ فقال كل واحد ما خطر له ولم يتوصلوا الى حل لغزه ولا الى كشف النقاب عما رمز اليه .

فقال الكيلاني رحمه الله : انه أبو العلاء وان هذا المعنى ورد في رسالة الغفران ، وان جاء فيها (انه رجل مستطيع بغيره) لأنه ما كان يقدر على التحرير والقراءة والمراجعة الا بتلامذته الذين لازموه ملازمة ظله وأخلصوا له اخلاص الأمين لمؤتمنه والولد لوالده . فأكد الأستاذ سيد ابراهيم ذلك . ولم أرجع أنا للرسالة فان كلام هذين الفارسين حجة .

وخرجنا من الندوة ونحن أربعة : الأستاذ الحوماني ، والأستاذ سيد ابراهيم ، وأنا ، وأخي عثمان حافظ . وكنت معجبا ببيت من الشعر لأحد شعراء المدينة المنورة المعاصرين وهو :

أشكو اليك عيالا لست أحصرهم
الا بتثبيت عداد على الباب

وأثنيت على هذه الصورة التي صورها الشاعر في هذا البيت ، وسألت الأستاذين رأيهما في البيت ، فقال الأستاذ سيد ابراهيم ان جريرا قد سبق الى هذا المعنى بقوله :

ماذا ترى في عيال قد بليت بهم
لم أبل عدتهم الا بعداد

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية
لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

فشاعرنا المعاصر المدني يقصد بالعداد عداد الكهرباء ، أما جرير فانه يقصد عدادا من الناس يستعين به على تعداد عياله . وحقا ان جريرا سبق الى المعنى ، فهل أخذ شاعرنا المعنى من جرير أم هو توارد خواطر ؟ على ان شاعرنا جدد الآلة الحديثة واستخدمها لاكمال الصورة .

وكنا على أهبة السفر واشتقنا للمدينة المنورة وأفضينا بأشواقنا ، فقال الأستاذ الحوماني : ان من أحسن ما نظم في الحنين للأوطان قول ابن الرومي :

ولي وطن آليت ألا أبيعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم
مآرب قضّاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وقال الأستاذ سيد ابراهيم ان للبهاء زهير أبياتا في الحنين للأوطان جميلة وأنشد :

سقى واديا بين العريش وبرقة
من المزن هطال الشآبيب هتان
وحيا النسيم الرطب عني اذا سرى
هنالك أوطانا اذا قيل أوطان
بلاد متى ما جئتها جئت جنة
لعينك منها كل ما شئت رضوان
تخيل لي الأشواق ان ترابها
وحصباءها مسك يفوح وعقيان

وقال الأستاذ الحوماني — وقد خرجنا من الندوة مشاة — هيا معي الى العتبة لأركب « الأوتوبيس » أو الى « مسبيرو » لأركب المترو لمصر الجديدة ، حيث كان يسكن رحمه الله .

فانطلقنا في جو شاعري رقيق ، وقرأ لنا الأستاذ الحوماني — ونحن نسير — أبياتا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من ديوانه « أنت أنت » .

وكان أحد الأصدقاء يريد أن يتزوج مصرية على زوجته وأم أولاده ، وكانت له شروط في الزوجة الجديدة وهي أن تنتقل الى الحجاز وتسكن مع زوجته الأولى وأم عياله ، وأوصانا أن نساعده . ولا أدري كيف بدأت القصة ، فقال الأستاذ سيد ابراهيم انصحوه بأن يسكن الى زوجته وأم أولاده ولا يفتح على نفسه أبوابا لا يستطيع سد باب منها .

وأخذ الأستاذ الحوماني يحدثنا عن تجاربه في الزواج ، كما أخذ الأستاذ سيد ينشدنا من روائع شعره ومحفوظاته ، كلما انتهى من مقطوعة أردفها بمقطوعة أخرى حتى وصلنا أول شارع « مسبيرو » من جهة كوبري قصر النيل ، فمشينا على كورنيش النيل واحتللنا مقعدا حجريا ننتظر قطار المترو ،فأنشد الأستاذ سيد ابراهيم هذه الأبيات لابن خروف الاندلسي :

ما أجمل النيل .. ما أبهى شمائله
في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع
تسير فيه مسير الروح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا
وانما هي أرزاق وأرباح

والتفت الاستاذ سيد ابراهيم الى أخي عثمان فوجده قد نام وهو جالس . وقمنا لادراك المترو وتوديع الأستاذ الحوماني ، وبينما كنا في الطريق الى المحطة أنشد الأستاذ سيد أبياتا نظمها في أخي عثمان لما رأى من كثرة نومه متى احتاج اليه في أي مكان وزمان :

عثمان خل وفي قد سما خلقا
وفاق كل كريم الطبع وضاح
وان تعجبت من أمر تصادفه
فاعجب لعثمان فهو النائم الصاحي
ينام في كل وقت ليس يعجزه
أن يصنع النوم في ليل واصباح

وهذه خصلة — بفتح الخاء — في الاستاذ عبد القدوس الانصاري نعرفها فيه منذ كان في المدينة المنورة ، فقد كان يصنع النوم متى شاء واحتاج . وكنا نسمر ليلا أو نقيل نهارا وتنهمك الشلة في حديث أو أي شيء آخر ، واذا بنا نرى الأستاذ عبد القدوس قد نام . ونعرف طبيعته هذه ، فنتركه حتى يأتي الشاي فيشربه وينام ، كأنما يحمل النوم في جيبه . وليت الأستاذ سيد ابراهيم ضم الأستاذ عبد القدوس الى أخي عثمان في هذه الأبيات ، فهو له زميل .. يجيد النوم ويجيد صنعه .

وانتهى انشاد هذه الأبيات ونحن عند عربة المترو حيث ودعنا الأستاذ الحوماني وعدنا في الجو نفسه الى بيوتنا ، وكانت متجاورة .

وكذلك كنا نحضر ندوة أدبية أخرى اسمها « ندوة الأصفياء » أسسها الأستاذ الحوماني رحمه الله ، ومن أعضائها الأساتذة طاهر الطناحي ، ومحمد المدني ، وفهمي هاشم ، والصديق السيد أمين مدني ، ويحضرها الأستاذان سيد ابراهيم والسيد عبيد مدني وغيرهم من رجال العلم والأدب .

وهكذا كان الجو هناك يفيض بالبشر والسرور وبالأدب بكل معانيه .. وهكذا كانت الندوات الأدبية قبل عدد من السنين .

وقبل أن أختتم هذا المقال الذي كتبته لقافلة الزيت الغراء ظفرت بلقاء مع شاعرنا الصديق الأستاذ فؤاد شاكر في دار شركة المدينة للطباعة والنشر ، وقضينا أمسية استعرضنا فيها ألوانا من الذكريات الأدبية والصحفية ، وجرنا الحديث الى بيتين للأستاذ فؤاد شاكر كان قد مدح بهما الراحل الدكتور مختار عبد اللطيف ، وكنت أقرؤها في لوحة في عيادته في ميدان الأزهار بعمارة « باناجه » .

قلت له : اني شطرت أبياتك ، فقال : اسمعنيها مع التشطير .

فلجأت الى المفكرة ، لأن حافظتي ليس لها من اسمي نصيب ، وقرأتها مع التشطير وهي :

كأنما يد موسى وهي مشرقة
فيها من الفن والاعجاز أسرار
تبدو لناظرها كالشمس ساطعة
بيضاء يمناك اشراق وأنوار
فان يك اسمك مختارا فلا عجب
هيهات يبلغ ما قد نلت ثرثار
وان سموت على الاقران في خلق
فأنت في عبقري الطب مختار

والصديق الدكتور مختار عبد اللطيف طبيب أسنان ماهر ، وأديب يتذوق الشعر والنثر الجيد ، ويحفظ الكثير من شعر الأدباء القدامى والمعاصرين ونثرهم ، وينشد الشعر بفصاحة وحسن إلقاء ، ويعلق عليه ، ويشرح وينقد ويستحضر ما كان منه في المدح والرثاء والغزل والاخوانيات ، وفي أبواب الشعر الأخرى في مناسباته .

وكان هو والأستاذ الكيلاني والاستاذ سيد ابراهيم يتحدثون الينا عن ندواتهم الأدبية في دار أمير الشعراء أحمد شوقي وفي دار أحمد زكي .

كذلك كانت حياة أولئك الأدباء قبل أن يعفي الزمان على تلك المعالم التي أصبحت تاريخا من التاريخ .



للشاعر ضياء الدين رجب

أدب المجـد ومـجـد الأدب … خـير أثواب الخلود القشـب
فالمعـالي في ذراهـا شهـب … والإطـارات رداء الشهـب
والمعاني البيض يعروها البـلى … حينمـا تأوي لجحر خـرب
رب سر غـامض قـد صانه … في الجمال الحر نسج الذهب
وثمـار من جنا الفكـر ذوت … في أكـف باديات العطـب
مثل مـا تهوي صروح رقصت … في بنـاء عائـم مضطـرب

* * * *

دوحة العرفان مجـد بـاذخ … ضوؤها الحرف كظل الكوكب
والبطولات وامجـاد النهـى … والخيـالات وراء السحـب
والثقافـات وساحـات الوغـى … وهـوى الفـن ودنيـا الطرب
كلها من مزنة الحرف ارتوت … فتلاقت كلقـاء النسـب
في دم حر كمـا تهوى العـلا … طيـب العرق وشيج القـرب
ليس يـدري السر إلا حـاذق … يفصل الـدر عن المخشلب(١)

١ – المخشلب : الخزف ، والمخشلب قطع الزجاج المكسر ومنه قول أبي الطيـب : بياض وجه يريك الشمس حالكة … ودر لفظ يريك الدر مخشلبا

شبكة المواصلات في

اذا توفرت لبلد ما مقومات النهضة والانطلاق ، من أيد عاملة مخلصة نشيطة ، وامكانات مادية ، وطاقات فكرية اصبح من اليسير عليه ، ان يخطط تخطيطا سليما لنهضته في مختلف الحقول والميادين . ولكن لا يكتب لنهضة اي بلد النجاح التام ، ما لم يولي المواصلات اهمية كبيرة ، فيشق الطرقات البرية ، ويعزز الموانىء البحرية والجوية، ويؤمن المواصلات السلكية واللاسلكية ، فييسر على الأهلين امر الاتصال والتفاهم وتبادل السلع والمنتجات الزراعية والصناعية ، ويسهل على الدولة امر التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري مع مختلف الدول النائية والمتاخمة .

على هذه الأسس ، وبهذا التفكير السليم أرست المملكة العربية السعودية دعائم نهضتها ، وانطلقت تبني لها بخطى ثابتة راسخة ، وبتخطيط هندسي سليم . فاستطاعت في غضون سنوات قليلة ان تبلغ شأوا كبيرا في مضمار الرقي . ففي ميدان الصناعة قيمت ما لديها من مواد خام وقامت على ضوئها بانشاء المصانع التي ترجو ان يكتب لها النجاح، مثل صناعة تكرير البترول، وصناعة الحديد الصلب ، وصناعة المواد البتروكيماوية ، وغير ذلك من الصناعات الحيوية .

وفي ميدان الزراعة ، أقامت مشاريع عديدة ، شملت استصلاح أراض جديدة ، وتأمين مزيد من الموارد المائية، وتطوير المناطق الزراعية القائمة ، وزيادة الثروة الحيوانية وتحسين نسلها .



«بسم الله الرحمن الرحيم و بعد الاتكال على الله الذي نسأله العون والسداد افتتح هذا الخط وارجو ان يكون فيه كل الخير والسعادة لأبناء هذا الشعب انه على كل شيء قدير» بهذه العبارة افتتح جلالة الفيصل المعظم طريق الرياض - الطائف ، الذي يبلغ طوله ٩٠٠ كيلومتر .

المملكة العربية السعودية

وأولت التعليم عناية خاصة ، فأنشأت عشرات المدارس في القرى والمدن ، وأقامت الجامعات والكليات والمعاهد ، ولا سيما المعاهد المهنية والصناعية التي تؤمن للبلاد الفنيين الأكفاء الذين يعول عليهم في مختلف ميادين الصناعة والانتاج .

ولم يفتها ما للمواصلات الجوية والبحرية والبرية والهاتفية والبريدية واللاسلكية من أهمية في تحقيق الازدهار الاقتصادي والتطور الاجتماعي ووصل المدن بعضها ببعض ، وربط القرى النائية بالمدن الكبيرة واخراجها من عزلتها الطبيعية . لذلك رصدت مبالغ ضخمة لتطوير المواصلات في هذا البلد وتنشيطها وجعلها تتمشى قُدما مع النهضة الناشطة في الميادين الأخرى . ففي حقل المواصلات الجوية أصبح لدى المؤسسة العامة للخطوط الجوية العربية السعودية اسطول كبير من الطائرات يربط بين مختلف انحاء المملكة ويؤمن الانتقال السريع بين المملكة ومعظم دول العالم . ويشمل هذا الأسطول طائرتين نفاثتين من طراز بوينغ ٧٢٠ ب وسبعا وعشرين طائرة من ذوات المحركات ، بالاضافة الى ثلاث أخرى من طراز دوجلاس دي سي ٩ تم شراؤها مؤخرا .

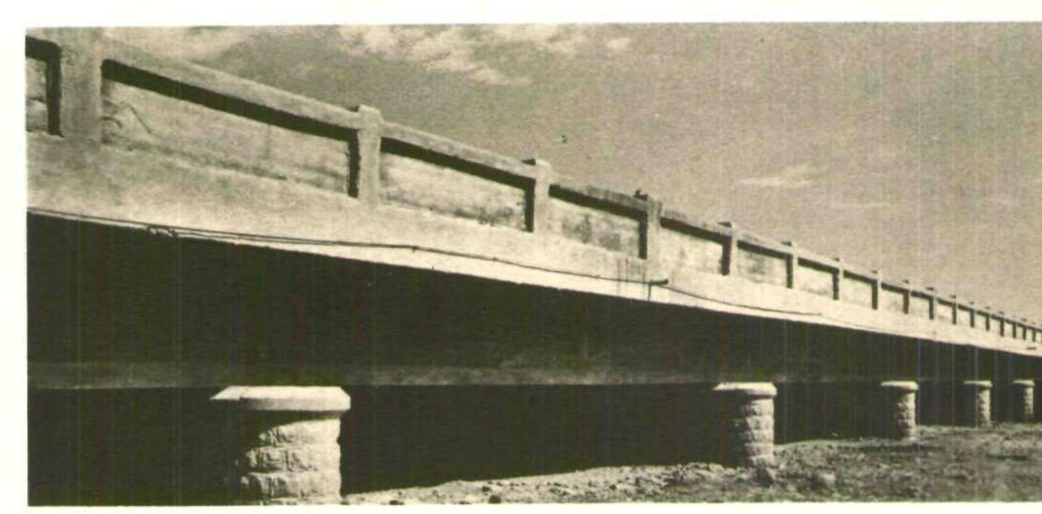
أما في حقل النقل البحري ، فتقوم الدولة بإنشاء موانيء بحرية جديدة ، وتوسعة الموانيء القائمة ، وتطويرها ، ليصبح بمستطاعها استقبال البواخر الضخمة التي تزداد احجامها يوما بعد يوم .



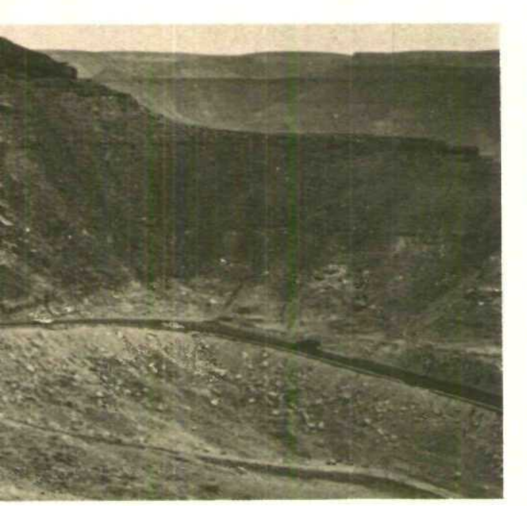
استخدم في شق الطريق حوالي ٣٩٨ آلة ضخمة بين كسارات وجرارات وخلاطات اسفلت وغيرها ، وتعاون على انجازه اربع شركات مقاولة .



روعي في تصميم الطريق أن تكون المنعطفات عريضة .



تضمنت الطريق عددا من الجسور الضخمة .



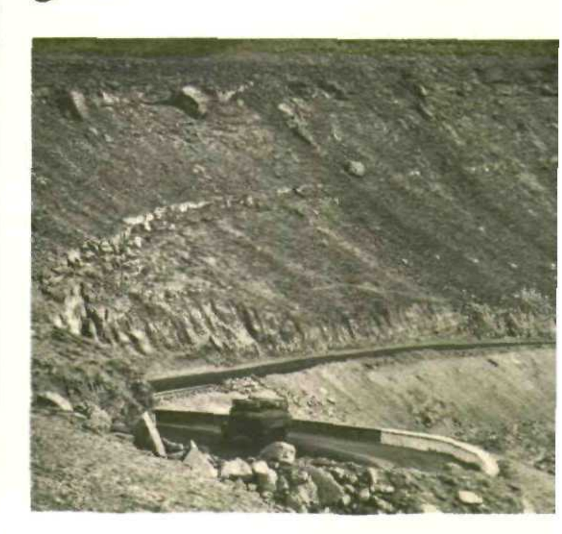
تتلوى الطريق كالحية بين الوهاد والجبال .



أقامت جمعية الهلال الأحمر السعودي مستوصفات اسعاف في نقاط معينة من الطريق .

ومن بين المرافق الرئيسية التي أصابها نصيب وافر من التطور والتحسين مرافق البريد والتلغراف والهاتف ، فبالاضافة الى تنظيم مراكز البريد ، جرى تطوير محطات الاتصال التلغرافي وجعلها في عداد محطات الاتصال العالمية ، إذ أصبح عدد المبرقات الطابعة فيها ٣٠ آلة ، تتصل بعدد كبير من الدول الخارجية . وهناك مشروع ضخم في طريق التنفيذ ، لإبدال الهاتف العادي بهاتف آلي في المدن الكبرى من المملكة .

واذا انثنينا الى المواصلات البرية ، وهي صفوة حديثنا في هذا المقال ، نجد ان الوزارة قد اولتها كبير عنايتها ، وجعلت لها مخططا كبيرا يتوقع



أقيمت حواجز واقية في الملفات الخطرة من الطريق .

بتمامه أن يصبح لدى المملكة شبكة طرق برية تربط مختلف انحائها بعضها ببعض . ويمكن تقسيم هذا المخطط الذي يحمل اسم «برنامج الطرق الرئيسي» ، حسب ما تم انجازه ، الى أربعة أقسام هي : طرق منجزة ، وطرق قيد التنفيذ ، وطرق رهن التصميم ، وطرق تحت الدراسة .

الطرق المنجزة

يبلغ مجموع أطوال الطرق المعبدة في المملكة حاليا ٤٠٤٤ كيلومترا ، كان تاما منها قبل الشروع بتنفيذ برنامج الطرق الرئيسي ٢٨٦٨ كيلومترا ، فيكون مجموع الطرقات التي تم تنفيذها ضمن البرنامج ١١٧٦ كيلومترا بلغت تكاليفها ٢٠٩٦٩٥٨٢٠ ريالا سعوديا .

وتحقق مؤخرا الحلم الذي راود سكان المملكة ، وهو ربط كبريات المدن ببعضها البعض ، وجعل البحر الأحمر في الغرب يصافح الخليج العربي في الشرق بطرق معبدة طولها ١٥٣٧ كيلومترا . وقد بلغ مجمل تكاليفها من جدة عبر مكة المكرمة ، فالطائف ، فالحوية ، فظلم ، فعفيف ، فبئر صقرا ، فالدوادمي ، فمرات ، فالرياض حتى تصل الى الدمام ، نحو ٣٢٣٩٦١٣٠٩ ريالات سعودية . أما عرض الطريق فيختلف بين منطقة وأخرى ، الا انه في معظم أجزائه يخضع للنظام المتبع دوليا للطرق ذات الاتجاهين . وقد روعي في تصميم منعطفات هذا الطريق ان تكون كبيرة القطر توخيا للسلامة في القيادة . ولعل أكثر ما يبين أهمية هذا الطريق احصاءات حركة المرور التي أجرتها وزارة المواصلات . ففي عام ١٣٨٤ هـ بلغ معدل عدد السيارات التي كانت تمر فيه ٦٣ سيارة يوميا ، في حين كان الطريق لا يزال وعرا . وفي شهري رجب وشعبان عام ١٣٨٥ هـ أجريت احصاءات أخرى فبلغ عدد السيارات التي كانت تمر فيه ٦٧ سيارة يوميا . وفي عام ١٣٨٦ ، وقبل انتهاء الطريق كليا أجريت احصاءات على بعد ٥ كيلومترات من عفيف ، فتبين أن معدل عدد

السيارات التي تمر يوميا ٢٩٤ سيارة أي أربعة أضعاف العدد السابق ونيف .

وقد جرى افتتاح هذا الطريق رسميا مساء يوم الأربعاء ٢٠ ذي القعدة ١٣٨٦ ، أول مارس ١٩٦٧ ، حيث قام بقص الشريط جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز المعظم في حفل كبير أقيم بهذه المناسبة ، وألقيت فيه الكلمات ، كانت أولاها كلمة لمعالي وزير المواصلات الشيخ محمد عمر توفيق ، وكان مسك الختام كلمة موجهة من جلالة الفيصل المعظم .

طرق قيد التنفيذ

إن ما تم انجازه حتى الآن يشكل جزءا ضئيلا من مجموع أطوال الطرق التي يجري شقها وتعبيدها تسهيلا للانتقال وحركة المرور . فهنالك ما مجموعه ٥٥٥٢ كيلومترا من الطرقات يجري العمل حاليا على انجازها وجعلها كما قال الشاعر « تحمل السالكين وهي ذلول » ، ويقدر مجمل تكاليفها بحوالي ١٤٠١١١٨٠٣٧ ريالا سعوديا . من أهم هذه الطرقات طريق القيصومة — طريف وطولها ٨١٨ كيلومترا ، وطريق المدينة — خيبر وطولها ١٦٦ كيلومترا ، وطريق الطائف — جيزان وطولها ٧١٧ كيلومترا ، وطريق المدينة — الحدود الأردنية وطولها ٢٥٥ كيلومترا ، وطريق الرياض — خريص وطولها ١٠٥ كيلومترات ، وطريق القيصومة — النعيرية وطولها ٢٥١ كيلومترا ، وطريق الدلم — وادي الدواسر وطولها ٥٥٧ كيلومترا ، وغيرها من الطرق الرئيسية والفرعية البالغ عددها عددها ٢٨ طريقا .

طرقات قيد التصميم

واذا تحولنا عن المشاريع التي هي قيد التنفيذ ، وتتبعنا مشاريع الطرق التي تقوم بتصميمها الشركات الاستشارية وجدنا أن مجموع أطوالها يبلغ ١٥٦٧ كيلومترا ومجمل تكاليفها التقديرية ٣٨٥٠٠٠٠٠٠ ريال سعودي ، وهي : طريق مكة — الدرب وطولها ٦٠٠ كيلومتر وتقوم بتصميمها «شركة ساوتي» ، وطريق عقلة الصقور — حائل وطولها ٢٥٢ كيلومترا وتصممها شركة «ويلسن مورو» ، وطريق صبوخ — بريدة ٤١٠ كيلومترات وتصممها « ساوتي » أيضا ، والقسم الثاني من طريق جدة — المدينة وطوله ٦٧ كيلومترا وتصممه شركة « واجنر » ، وطريق سكاكا — صبية وطولها ٢٣٨ كيلومترا وتصممه « ساوتي » أيضا. وحال الانتهاء من التصميم سيعمد الى وضع هذه الطرقات قيد التنفيذ لتغدو فيما بعد طرقا معبدة ضمن شبكة الطرق الواسعة الأطراف .

طرق تحت الدراسة

وبالإضافة الى مشاريع طرق قيد الانجاز والتخطيط يقوم مهندسو الوزارة ، في الوقت نفسه ، بدراسة مشاريع جديدة من شأنها تعميم شبكة الاتصال البري في مختلف أرجاء المملكة ، وهكذا يجري المسؤولون دراسة على طريق طريف — القريات — الحدود الأردنية البالغ طولها ١٦٧ كيلومترا ، والتي تقدر تكاليفها بحوالي (٤٢٠٠٠٠٠٠) ريال سعودي ، وطريق طريف — الحدود الكويتية البالغ امتدادها ٤٠ كيلومترا والمقدرة تكاليفها بحوالي (٨٠٠٠٠٠٠) ريال سعودي ، وطريق الرياض — القويعية — ظلم البالغ طولها ٥٠٠ كيلومتر والمقدرة تكاليفها بحوالي (١٠٠٠٠٠٠٠٠) ريال سعودي .

يتبين مما تقدم أن أطوال الطرقات البرية التي يشملها برنامج الطرق الرئيسي الذي يتوقع انتهاؤه في غضون ثلاث سنوات ٩٠٠٣ كيلومترات مضافا اليها الطرق التي كانت قائمة قبل البرنامج فيصبح لدى المملكة مجرد انتهاء هذا البرنامج شبكة طرق برية يبلغ مجموع أطوالها ١١٨٧١ كيلومترا .

برنامج الوصلات

علاوة على ذلك ، لدى وزارة المواصلات برنامج للطرق الفرعية أطلق عليه اسم « برنامج الوصلات » . ويشمل هذا البرنامج ايصال طرقات معبدة الى القرى الواقعة على مقربة من الطرق الرئيسية وذلك لاكتمال الشبكة وتعميم الازدهار . وقد وجهت الوزارة الدعوة الى خمسة عشر مكتبا استشاريا هندسيا ، ووضعت برنامجا مفصلا يحدد أولوية التنفيذ بالنسبة لهذه الوصلات . وقد أنهت المكاتب الاستشارية دراساتها وأحالتها إلى الوزارة لمناقشتها والنظر فيها .

المخطط الثاني للطرق الرئيسية

بالرغم من تفرع الطرقات التي شملها « برنامج الطرق الرئيسي » ، بقي هنالك طرقات تحتاج الى الشق والاستصلاح لاكتمال الشبكة وتعميم الفائدة . فهنالك مثلا تكملة الطريق من نبك أبو قصر الى نقطة التقائه بطريق المدينة — تبوك ، ومد الطريق من وادي الدواسر حتى نجران فبيشة ، وذلك لربط شمال شرقي المملكة بشمال غربيها . كما يزمع انشاء طريق معبدة تربط المنطقة الوسطى بخط التابلاين لتلتقي بخط الرياض القصيم ، هذه الطرق وغيرها هي من ضمن المخطط الثاني للطرق الرئيسية الذي يتوقع البدء به بمجرد الانتهاء من البرنامج الأول .

الطرق الزراعية

وتولي الوزارة أمر انشاء الطرق الزراعية اهتماما بالغا ، فقد أعدت برنامجا خاصا لشق الطرق وايصالها الى المناطق الزراعية لتسهل على المزارع عملية نقل منتجاته الى الأسواق المحلية وتصريفها بأسعار معقولة تدر عليه المال والأرباح . وتنفيذا لهذا البرنامج ، أرسلت الوزارة فعلا تسع فرق من عمالها بكامل معداتهم الثقيلة والخفيفة لمباشرة شق الطرق الى مناطق أبها والطائف وجيزان والقصيم والشمال وبني مالك وغامد وزهران والدلم . وقد تمكنت هذه الفرق حتى تاريخ هذه السطور من شق حوالي ألف كيلومتر من الطرقات .

عصام العماد



سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز ، أمير الرياض ، يلقي نظرة على نموذج للطريق من الجبس صنعته وزارة المواصلات وقد بدا الى يمينه معالي الشيخ محمد عمر توفيق وزير المواصلات .

تصوير : سعيد الغامدي

الربيع في الشعر العربي المعاصر

بقلم الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

الربيع زهر وعطر في دفئه الجميل ، وشمسه المشرقـة ، وابتسامته العذبة ، وفي هدوئه وصفائه وخضرته ومائه ، وفي اقباله وجماله . أغرى الشعراء بالكلام ، وألهمهم روائع القصيد ... ولا عجب في ذلك ، فالطبيعة في كل زمان ومكان هي المثابة لروح الالهام في الشعر ، وهي الموحية للشاعر بالكثير من ألوان الخيال والصور والمشاعر والخواطر والمعاني والآثار الأدبية . والشاعر في قلب الحقل يهتز — كما يقول « ميسترل » (Mistral) — كما يهتز صدى الصوت .. وقد افتن الشعراء بالطبيعة وصوّروها في شتى مشاهدها ، صورا تجمع غالبا بين صدق الاداء ، وحرارة الاحساس ، فما بالنا بالربيع وهو قمة كمال الطبيعة وجمالها ؟

وفي الشعر العربي القديم نجد شعراء يتغنون في شعرهم بجمال الطبيعة ، ويحفل شعرهم بصورها ، كأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي، وابن المعتز ، والصنوبري ، وابن وكيع التنيسي ، وابن حمديس الصقلي ، وابن خفاجة وسواهم . وقد وصف الشعراء القدامى الربيع وجماله في قصائدهم ، وتعد من أجملها قصيدة أبي تمام التي يقول فيها :

يا صاحبيّ تقصّيا نظريكما
تريا وجوه الأرض كيف تصوّر
تريا نهارا مشمسا قد شابه
زهر الرّبى فكأنما هو مقمر

وكما تحدث الشعراء العباسيون ، والشعراء في الغرب مثل « ورد زورث » ، و « شيلي » و « هاردي » ، و « مورال » ، و « هوجو » ، و « لا مرتين » ، في وصف الطبيعة والربيع والأزهار والريف ، تحدث شعراؤنا المعاصرون من أمثال أبي شادي ، ومطران ، وشكري ، وعلي محمود طه ، والهمشري ، والشابي ، وأبي ماضي وسواهم ، وتغنوا بالربيع وجماله . والربيع دائما يثير الشعراء ويوقظ مشاعرهم ، ويلهمهم روائع التصوير في كل بيئة وعصر . ومن ثم نجد الربيع ماثلا في الشعر المعاصر ، بكل فتنته وروعته وبهجته وحيويته ، واشراقه وخضرته .

ولافتتان الشعراء بالربيع ، سمّى الكثير منهم دواوينهم به . فهذا ديوان « أطياف الربيع » للدكتور أحمد زكي أبي شادي ، الذي طبع عام ١٩٣٣ ، وهذا ديوان « الربيع » للشاعر المهجري الكبير الياس فرحات ، المطبوع في سان باولو عام ١٩٥٤ ، وللشاعر العربي السعودي طاهر زمخشري ديوانان « أحلام الربيع » ، و « أنفاس الربيع » ، وللشاعر الدكتور كمال نشأت ديوان « ماذا يقول الربيع ؟ »

ويصوّر أمير الشعراء أحمد شوقي الربيع بمهرجان للجمال والصفو والصبوح والزهور ، فيقول من قصيدة طويلة :

آذار أقبل قم بنا يا صاح
حيّ الربيع حديقة الأرواح
واجمع ندامى الظرف تحت لوائه
وانشر بساحته بساط الرّاح
صفو أتيح ، فخذ لنفسك قسطها
فالصفو ليس على المدى بمتاح
ملك النبات فكل أرض داره
تلقاه بالأعراس والأفراح
لبست لمقدمه الخمائل وشيها
ومرحن في كنف له وجناح
اني لأذكر بالربيع وحسنه
عهد الشباب وطرفه(١) الممراح

وسار على نهج أمير الشعراء الشاعر ، الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي (١٨٩٨ — ١٩٦١) ، فنظم قصيدته (جاء الربيع) التي عارض بها قصيدة شوقي ، ويقول فيها :

جاء الربيع فقم بنا يا صاح
نلق الزمان يمرّ بالأفراح
في موكب لبس الزمان شبابه
واختال منه بميعة ومراح
أيامه حور حسان أقبلت
تهدي عروس الحسن للأرواح
متّع شبابك بالربيع فانه
عيد الزهور يمر بالأفراح

وفي هذا الاطار الفني والتصور الجميل للربيع يحيي الشاعر محمود غنيم الربيع عيد الطبيعة ، ويذكر انه أجلّ ملهميه بالشعر . فيقول من قصيدته « موكب الربيع » :

حيّ الربيع وحيّ عطر نسيمه
والثم جبين الصبح في آذار
عيد الطبيعة يحتفي وحش الفلا
بحلوله ، والطير في الأوكار
اني لترهف في الربيع مشاعري
ويدق حسي دقة الأوتار
ويزيد فيه بالجمال تدلّهي
وأنا امرؤ حب الجمال شعاري
متّع فؤادك بالربيع فانه
لحن الزمان وبسمة الأقدار
ان الربيع هو الحياة وسحرها
لولاه لم نحرص على الأعمار

ويخالف الدكتور أحمد زكي أبو شادي هذا المنهج الوصفي في الحديث عن الربيع فيقول من قصيدته « ميلاد الربيع » :

أمن العواصف والدموع
هذي الملاحة للربيع ؟
هذي الأشعة جسّدت
في كل حسن تستطيع
يا عين ما النبع الذي
غمر الجمال به الربيع ؟
جاءت به حور الجنا
ن وحاذرت ألا يضيع
أحلى التحايا للربيـ
ـع حياة ما يوحي الربيع

ويعلل الشاعر المهجري الكبير الياس فرحات حبه للربيع هذا التعليل الجميل فيقول من قصيدته « حب الربيع » :

أحب الربيع وأيامه
وأهوى لياليه الضاحكات

(١) الطرف : الكريم من الخيـل .

فان الربيـــع شبـاب الزمـــان
وان الشبــاب ربيـــع الحيـــاة

وفي أشعار الزهاوي وحافظ جميل وعلي محمود طه والهمشري أوصاف جميلة للربيع .

ويجيء عبد القادر رشيد الناصري بنغمة حلوة في وصف الربيع فيقول من قصيدته « في ارتقاب الربيـــع » :

الربيـــع الربيـــع ملء ضلوعي
صلوات .. الى ارتقاب الربيع
كلما مــرّ طيفه فـــي خيالي
ظمئت مهجتي وجاعت ضلوعي
لا أرانـــي أعيش حـــتى أراه
ومضات في الخاطر المفجوع
موكبا أثر موكب تزرع السحر
يـــداه مفاتنا فـــي الربـــوع
وجرى الجدول الكسول يناغي
بالهوى العف ظامئات الزروع
سائليني عـــن الربيـــع فاني
أنـا أدرى بسحر معنى الربيع
في دمي منه شعلة تكسب الشعـ
ـــر عبيرا من قلبي المصدوع
وتحيـــل الحياة جنـــة شوق
يرتوي زهرها بفيض دموعـــي

وهكذا عبر الشاعر العربي المعاصر عن الربيع في شعره تعبيرا يتناول حينا مظاهره وألوان الجمال الذي أودعه ، وحينا آخر سره وحقيقته وجوهره ، وحينا ثالثا مشاعر الانسان وعواطفه وحبه ولهوه فيه ، وحينا رابعا وقف مبهورا يتأمله دون أن يدري ما يقول ... وما أجمل ما يقول الشاعر العربي القديم ابن المعتز في وصفه :

حبـــذا آذار شهـــرا
فيـــه للنـــور انتشـــار
ينقص الليـــل اذا جاء
ويمتـــد النـــهــــــار
نقشـــه آس ونســـــر
يـــن وورد وبهـــار
وعـــلى الأرض اخضرار
واصفـــرار واحمـــرار

وليس من قصدنا في هذا الحديث ان نضع كـــل هؤلاء الشعراء في منازلهم الأدبية . ولا ان نوازن بينهم موازنة تكشف عن الفاضل والمفضول ، ولكنا نستعرض هنا مناهجهم وطرقهم الفنية فـــي الحديث عن الربيع . وجماله ، وروعته . وذلك مـــا اليه قصدت . وما عنه تحدثت .



• **قال أهل مكة لمحمد بـــن مناذر الشاعر :** ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، انما الفصاحة لنا أهل مكة ! فقال ابن مناذر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن . وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم .

فأنتم تسمون القدر : بُرمة . وتجمعون البُرمة على برام . ونحن نقول : قدر ، ونجمعها على قدور . وقال الله عز وجل : (وجفان كالجواب وقدور راسيات) .

وأنتم تسمون الطلع : الكافور ، والاغريض . ونحن نسميه : الطلع ، وقال الله عز وجل : (ونخل طلعها هضيم) .

• **قال الوصافي :** دخل الهيثم بن الأسود ابن العريان النخعي ، وكان خطيبا شاعرا ، على عبد الملك بن مروان فقال له : كيـــف تجدك ؟ قال : أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود ، واسودّ مني ما كنت أحب أن يبيّض ، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين ولان مني ما كنت أحب أن يشتد .

• **عن الحسن البصري قال :** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أوصاني ربي بتسع : أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية ، وبالعدل في الرضى والغضب ، وبالقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطي من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبرا» .

• **قال أبو عبّاد :** إذا أنكر القائل عيني المستمع ، فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذي أجرى ذلك القول له ، فإن وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وان كان لاهيا عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة ، وعرّفه بفسولة الاستماع ، والتقصير في حـــق المحدث . وقال أيضا : للقائل على المستمع ثلاث : جمع البال ، والكتمان ، وبسط العذر .

• **وصف بعض البلغاء اللسان فقـــال :** اللسان أداة يظهر بها حسن البيان ، وظاهر يخبر عن ضمير ، وشاهد ينبئك عن غالب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الحقائق ، ومعز يُنفى به الحزن ، ومؤنس تذهب به الوحشة ، وواعظ ينهى عن القبيح ، ومزين يدعو الى الحسن ، وزارع يحرث المودة ، وحاصد يستأصل الضغينة .

• **وقال بعض الحكماء :** انما الناس أحاديث ، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل .

لمحات من تاريخ الطب العربي

بقلم الدكتور يونس شناعة

لست أؤرخ للطب العربي ، ففي هذا المجال سبقني كثيرون ، منهم العربي والمستشرق ، وان المكتبة الأجنبية لتكاد تحوي من المراجع في هذا الباب أكثر مما تحويه المكتبة العربيـة .

ثم اني لست من هواة اجترار المجد المؤثل ولا التغني به . كلا ، إنها تذكرة وحافز ، تذكرة بماض له حاضر ، وحاضر له ماض ، وحافز يدفع بنا في الاتجاه السوي ونحن على مفترق الطـرق .

تعريف

قبل الخوض في هذا الموضوع أود أن أضع بين يدي القراء تعريفا أو تحديدا لمعنى العنوان . فالطب العربي تسمية تطلق على كل ما دوّن بالعربية أو نسب الى العرب من طب منذ الجاهلية حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، سواء تم ذلك على أيدي العرب أو غيرهم ، المسلمين منهم ، أو غير المسلمين .

وحقيقة الأمر أن العديد من أطباء العصر العباسي ، كانوا من غير العرب ، كما أن كثيرين منهم لم يكونوا مسلمين ، ولكن الدولة الإسلامية التي احتضنت علم الأولين وطبهم ، كاليونان والفرس والهنود والبيزنطيين ، اجتذبت اليها كل هؤلاء ، وعنيت بهم وأغدقت عليهم .

يعنينا من هذا كله أن نؤكد أن المحصول الطبي عند العرب بلغ ذروته حين كانت الدولة الإسلامية في ذروة مجدها وسلطانها ، ويعنينا أيضا أن نرد على قول المغرضين من أن العرب أو المسلمين لم يكن لهم شأن يذكر في عالم الطب ، فأكثرية الذين أسهموا في هذا المجال في ظـل الدولة الإسلامية لم يكونوا عربا ولا مسلمين . نرد على هؤلاء بمثال قائم في هذا العصر نجده في الولايات المتحدة الأمريكية التي قطعت في مجال العلم والاختراع شوطا واسعا ، بفضل قرائح الكثير من الأجانب (المتأمركين) من شتى أنحاء العالم . احتضنت الدولة هؤلاء الأجانب وأغدقت عليهم وزودتهم بالضروري وغير الضروري ، حتى أتوا بالأمور الجسام ولم يختلف الأمر مع الدولة الإسلامية ، فهل تعاب أمريكا على ما فعلت ؟

أما الذين أرخوا لهذا البحث فهم مشاهير المؤرخين العرب كابن النديم في كتاب (الفهرست) وابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) ، وقد كان هذا المؤرخ نفسه طبيبا ، والقفطي في كتابه (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) وابن خلكان في (وفيات الأعيان) وابن خلدون في مقدمته ، والمقريزي ، وابن العبري ، والمقري ، وحاجي خليفة ، كما أن عددا من الرحالة العرب أرخوا لفترة أو فترات من هذه الحقبة من الزمن ، كابن جبير ، وعبد اللطيف البغدادي ، وغيرهما .

ومن أشهر المستشرقين الذين ساهموا في هذا الباب المستشرق الفرنسي لاكليرك ، وفلوجل ، وبروكلمن ، وبراون ومايرهوف وغيرهم .

يضاف الى كل اولئك ما حفظته المكتبات والمساجد والمتاحف في العالم الإسلامي ، وأوروبا من مخطوطات كالقاهرة ، واستانبول ، ودمشق ، وحيدر أباد ، وباريس ، ولندن ، ومدريد ، وان مكتبة اسكوريال في مدريد لتحتوي عـلى أضخم مجموعة من المراجع والآثار عن التراث العـربي .

وللتسلسل التاريخي رأيت أن أستعرض مراحل الطب العربي واحدة واحدة ، منذ الجاهلية حتى أواخر القرن الثالث عشر للميلاد ، إذ لم يكن بعد ذلك في العالم الإسلامي في الطب العربي من جديد جدير بالذكر .

العصر الجاهلي

لم يكن في الجاهلية من طب بالمعنى الصحيح ، وانما كانت هناك طبابة جاءت حصيلة تجارب متوارثة يقوم عليها الكهنة ، والمشعوذون ، أو من تقدمت بهم السن وأوتوا نصيبا من الذكاء واللباقة ، وقد اقتصرت طبابتهم على التمائـم والتعاويذ ، والحجامة ، والكي ، والفصد ، والخلطات من المواد النادرة ، أو الأعشاب الغريبة توضع على الألم أو تعطى عن طريق الفم ، وكثيرا ما كان للأثر النفسي الدور الأول في شفاء المريض . وقد كان العسل أشهر المواد التي تدخل في مركبات العلاجات يومئذ ، كما كان الكي أشهر الوسائل في علاج الألم وغيره .

وأول طبيب عربي أوردت ذكره المصادر الموثوقة كالقفطي وابن أبي أصيبعة هو «الحارث ابن كلدة» من ثقيف ، وقد عاصر هذا الرجل محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقى دراسته في مدرسة الطب الفارسية في مدينة جنديسابور ، وقد عالج هذا الطبيب كسرى أنوشروان أكثر من مـرة .

كما مارس الطب أيضا النضر بن الحارث ، وتتضارب الآراء حول النضر هذا ، والأرجح أنه ليس ابن الحارث السابق الذكر وانما هو ابن الحارث بن علقمة بن كلدة ، وهو نسب مختلف .

عصر النبي والخلفاء الراشدين

ظلت طبابة الجاهلية سائدة في هذه الفترة التي تقارب الأربعين سنة ولكن لونا آخر أضيف الى كل ذلك وهو ما عرف بالطب النبوي ، وهو عبارة عن مجموعة من أحاديث رسول الله جاءت بمثابة تعاليم صحية ، ولمسات تتعلـق بالصحة والنظافة والعناية بالجسم . وقد أشار القرآن الـكريم الى بعض الأمور الصحيّة ، كالمراحل الجنينية للإنسان فـي أكثر من آيـة .

وقد شغل الرسول عليه السلام وصحبه في هذه الفترة بتثبيت العقيدة الإسلامية وتحقيق نظام الإسلام في الدولة الناشئة في المدينة المنورة ، وشغل الخلفاء من بعده بنشر الإسلام وبحروب الردة ، فلم يكن هناك

مجال في مرحلة التمركز هذه للشئون الأخرى كالطب وغيره .

العصر الاموي

تميزت هذه الفترة التي امتدت من منتصف القرن السابع الميلادي الى منتصف القرن الثامن الميلادي بالفتوحات الشاملة التي وسعت رقعة الدولة فأصبحت تمتد من الأندلس الى سمرقند . ومن هنا أصبح المسلمون على اتصال بمراكز الحضارات القديمة ، فإلى أي حد اكتسبوا وأفادوا من علم الأولين وطبهم في هذه الفترة ؟

لقد جاءت البادرة الأولى على يد الأمير خالد ابن يزيد بن معاوية ، الذي وجه كل همه نحو الكيمياء بعد أن فشل في وراثة عرش والده . ويحدثنا ابن النديم أنه جمع فلاسفة اليونان المقيمين في مصر آنذاك وأمرهم بترجمة الكتب اليونانية والمصرية التي تبحث في الكيمياء الى العربية ، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء قد ترجموا كتب الطب أيضا الى العربية ، وهكذا ربما كانت تلك الكتب أول ما ترجم في الإسلام من لغة الى أخرى .

أما في الطب بالذات فقد ذكر ابن أبي أصيبعة بعض الأطباء في هذه الفترة ، منهم ابن عثال الذي كان طبيبا خاصا للخليفة معاوية . وآخر اسمه أبو الحكم ، الذي أصبح ابنه الحكم طبيبا فيما بعد ، وقد كان عيسى بن الحكم هذا طبيبا أيضا ، ويروى أن له كتبا في الطب لم يصلنا منها شيء . وهناك طبيب آخر اسمه ثيودوسيوس ، كان طبيب الحجاج الخاص ، وله بضعة مؤلفات . ونختتم هذه القائمة القصيرة من الأطباء بأعرابية اسمها زينب كانت تعالج الرمد .

أما في ميدان الصحة العامة فإن الطبري يحدثنا أن الوليد بن عبد الملك عزل المجذومين سنة ٧٠٧ م وأنشأ الملاجىء للعجزة والمكفوفين .

العصر العباسي (العصر الذهبي)

في منتصف القرن الثامن للميلاد ، وبعد أن أصبحت بغداد عاصمة العالم الاسلامي ، بدأ سيل من العلوم اليونانية وغيرها يتدفق الى العالم الإسلامي عبر بغداد ، ويطبع بالطابع العربي . وفيما يتعلق بالطب خاصة فقد نفحت مدرسة الطب الفارسية ومستشفاها في جنديسابور بغداد بالكريم من عطائها ، وان لم يبق منها اليوم غير الاسم .

أسس هذه المدينة شابور الأول في القرن الثالث للميلاد ، في منطقة خوزستان في الجنوب الغربي من ايران اليوم ، وأعاد تأسيسها في القرن السادس الميلادي كسرى أنوشروان ، ويرجع الفضل في تقدم هذه المدينة وتقدم مدرستها الى النساطرة الذين فروا من الرها (اديسا) اليها بسبب الاضطهاد الديني البيزنطي . وكان النساطرة تلامذة اليونان وحملة علمهم وفلسفتهم ، حتى إذا ما لجأوا الى جنديسابور أخذوا ينشرون ما لديهم من معرفة ، وقد أولاهم كسرى أنوشروان عنايته وعطفه . وابتعث الى الهند طبيبه الخاص (برزيا) الذي عاد ومعه الكثير من طب الهنود ، وربما قد اصطحب معه بعض الأطباء في عودته . وهكذا استقت هذه المدرسة من روافد المعرفة القديمة كلها ، وما أن جاء القرن السابع للميلاد حتى تألق مجدها . واستعان الخليفة العباسي



رسم يمثل الرازي وهو يقوم بتحضير بعض العقاقير الطبية في مختبره بمستشفى بغداد الكبير .

المنصور بها حين ألم به المرض فانتدب الطبيب جرجس بن بختيشوع عميدها آنذاك، لمعالجته. وجدير بالذكر أن أسرة بختيشوع هذه احتكرت الطب في سلالتها في جنديسابور بشكل خاص طوال قرنين ونصف من الزمان .

عصر الترجمة

وبحكم احتكاك المسلمين وصلتهم بتراث الإغريق ، وبحكم شغفهم بالمعرفة ، ومنهـا (علم الابدان) ، فقد كان من الطبيعي أن تنقل هذه المعرفة الى اللغة العربية على أيدي مترجمين . وفي سنة ٨٣٠ م أسس المأمون (بيت الحكمة) في بغداد ، وكانت عبارة عن كلية للترجمـة نخبتها من النساطرة الذين أقاموا في جنديسابور والذين راحوا يترجمون من اليونانية الى السريانية فالعربية أو الى العربية مباشرة . وعلى رأس هذه النخبة يأتي (حنين بن اسحق العبادي ٨٠٩ — ٨٧٧ م) الذي يعد رائد التطور الملحوظ في الطب العربي . كان حنين نفسه طبيبا ، وقد تتلمذ في العربية على الخليل بن أحمد ودرس اليونانيـة دراسة خاصة . وكان لحنين الفضل في ابتداع التعابير الطبية في العربية أثناء ترجمته من اليونانية وقد ترجم من اليونانية شتى المواضيع بالإضافة الى طب أبقراط وجالينوس ، وله مؤلفات أصيلة في الطب .

وفريق آخر من المترجمين الذين كان لهم في بناء النهضة المذكورة نصيب جليل ، جاءوا من حران ، هذه المدينة التي ظلت وثنية جاهلية حتى القرن الثالث عشر الميلادي . وفي طليعة هؤلاء ثابت بن قرة الحراني سنة (٨٣٦ — ٩٠١ م) والذي صار طبيبا في بغداد فيما بعد ، ثم ولـداه سنان وابراهيم فحفيداه ثابت وابراهيم فولـد حفيده سنـان .

وهكذا أصبح لدى المسلمين ثروة ضخمة من علوم الأولين ومعرفتهم بفضل حركة الترجمة هذه ، ولا يفوتنا هنا أن نسجل مواقف الخلفاء المشرفة في هذا العصر ، وحرصهم على جمع المعرفة من أي مكان مذللين في سبيل ذلك الصعاب. فكثيرا ما كان الحصول على المخطوطات القديمة شرطا من شروط معاهدات الصلح المعقودة ، بين الخليفة والامبراطور البيزنطي . ويحدثنـا ابن أبي أصيبعة أنه عندما فتح العرب كلا من عمورية وأنقرة جمعوا كل ما وجدوا فيهما من مخطوطات . وأن المأمون أرسل وفدا خاصا الى الامبراطور البيزنطي لجمع المخطوطات. . وكثيرا ما كانت الكتب العلمية القديمة مادة تُهدى ، وان امبراطور القسطنطينية توسل بإهداء الكتب القيمة للخليفة في الأندلس ليكون حليفه ضد الخليفة في بغـداد .

كان في كل مدينة كبيرة مكتبة عامة فيها قاعة اجتماعات لبحث الشئون العلمية والدينية . وعلى غرار بيت الحكمة في بغداد أنشئت فيما بعد دار الحكمة في القاهرة ، حيث المترجمون والنساخ والمؤلفون . وأنشئت في قرطبة مكتبة حوت زهاء ربع مليون مجلد . وكان للعديد من الحكام والاغنياء مكتبات خاصة ، وكان الأطباء في هذه الحقبة من تاريخ الإسلام مولعين بجمع الكتب واقتنائها ، فقد حوت مكتبة ابن المطران ، طبيب صلاح الدين الخاص ، حوالي عشرة آلاف مجلد . أما مكتبة ابن التلميذ ، صاحب أحسن مرجع في العقاقير في عصره ، فقد حوت عشرين ألفا ، دون الكثير منها بخط يده . وابن القفطي ، المؤرخ المشهور ، كان يملك مكتبة تقدر بخمسين ألف دينار . وقد حوى كل مستشفى كبير مكتبة فيها المراجع المهمة . أما في الأندلس فقد بلـغ حب اقتناء الكتب حد الهواية والهوس، حتى لدى بعض الأميين .

هذه النهضة العلمية المباركة وهذا الاقبال النادر المثال على التهام المعرفة ، كانا كفيلين بايجاد الأطباء الأفذاذ في تلك الحقبة ممن جرى ذكرهم على كل لسان. وقد ألف هؤلاء المؤلفات الضخمة القيمة التي أضحت فيما بعد مراجع في مكتبات الغرب لا غنى عنها ، ودونوا فيها ما كان لدى اليونان وغيرهم من معرفة في الطب ، بعد أن نبذوا الغث منها . . . وافقوهم في بعضها وخالفوهم في البعض الآخر بحجج دامغة ، وشخصوا أمراضا لم تشخص من ذي قبل ، ووضعوا نظريات أثبتت الأيام صحتها ، وحللوا تحليلات لم تعرف لدى سابقيهم . فالأطباء في العصر الذهبي للإسلام ، سواء في بغداد وقرطبة ، لم يكونوا مجرد نقلة لطب اليونان وغيرهم ، كما يزعم الزاعمون من المستشرقين بل كانوا أمناء على تراث الفكر الانساني ، حفظوا لكل من سبقهم حقه فنسبوا اليه ما أخذوا عنه ، ثم أضافوا الى ذلك الكثير مما أبدعوا ، وانك لتجد ذلك واضحا جليا وأنت تقرأ بعض الفقرات من كتاب الحاوي في الطب للرازي ، أو كتاب القانون لابن سينا وغيرهما .

وما لنا لا نورد هنا ما سجله مستشرق معروف هو كمستون (Cumston) في كتابه (ملخص تاريخ الطب) حول دور العرب في هذا المضمار حيث يقول : «لقد أخذ العرب خلاصة ما في مؤلفات اليونان ، ونبذوا جانبا كل ما هو غث زائد . وما على المرء إلا أن يقرأ جالينوس أولا ثـم يقرأ ابن سينا بعد ذلك ليدرك الفرق ، فالأول غامض والآخر واضح تماما ، والترتيب والنهج هما قوام الأخير ، بينما تبحث عبثا عن هذين الأمرين في الاول » .

وفيما يلي سنأتي على ذكر بعض أعلام الطب في العالم الإسلامي في الفترة الواقعة ما بين القرنين الثامن والرابع عشر للميلاد ليتبين القارىء الكريم الشأو البعيد الذي بلغه الطب العربي في هـذه الفترة من تاريخ الإسلام ويرى بنفسه ما أبدع أطباء هذه الفترة وما خلفوا من تراث يستحق الاعجاب والتقدير .

جرجس بن بختيشوع : مات سنة ٧٦٩

كان أول من عمل لدى الخلفاء العباسيين في بغداد ، وكان رئيس الأطباء في جنديسابور آنذاك . وله مؤلفات عدة منها (نصائح الرهبان) ، ويقال أنه أول من كتب في الطب بالعربية .

حنين بن اسحق العبادي : ٨٠٩-٨٧٣ م

كان مسيحيا نسطوريا . وكان طبيبا ومترجما في آن واحد ، وله مؤلفات أصيلة بالإضافة الى تراجمه لابقراط وجالينوس مثل (كتاب المقالات العشر في أمراض العين) . ويعتبر هذا المؤلف أقدم مرجع منتظم حول هذا الموضوع ، ونقطة البدء في طب العيون عند العرب .

علي بن العباس المجوسي : مات سنة ٩٤٤

كان طبيب بلاط عضد الدولة ، وتسميته بالمجوسي عائدة الى أصله وديانته . . وأهم مؤلفاته (الكتاب الملكي) أو (كامل الصناعة الطبية) ، وقد وضع في عشرين مجلدا ، العشرة الأولى منها تناولت الناحية النظرية في الطب ، والأخرى تناولت العملية . وقد كان هذا المؤلف كتاب الطب المعتمد في العالم الإسلامي الى أن ظهر كتاب القانون في الطب لابن سينا وذلك بعد قرن من الزمان . وقد كان لهذا الكتاب أثـره (بعد أن ترجم) على كلية الطب في جامعة سالرنو في القرن الحادي عشر الميلادي .

يوحنا بن ماسويه : ٧٧٧-٨٥٧م

ولد في جنديسابور لأب صيدلي ، ونشأ في بغداد وكان صديقا ومستشارا للخليفة الواثق . كان حاضر البديهة سليط اللسان ، ومن أوائل المترجمين ، وكان حنين بن اسحق أحد تلاميذه .

ويعتبر يوحنا أول من شرّح بين أطباء العرب ، وهم قليل ، فقد شرّح قردا كبيرا ودون ملاحظاته عنه . ويروى ابن أبي أصيبعة أن يوحنا كان يشرّح نوعا خاصا من القرود ، في غرفة للتشريح على ضفاف دجلة ، كان يجلب له بأمر من الخليفة المعتصم .

لابن ماسويه عدة كتب ترجمها عن اليونانية ، وأخرى أصيلة ، فقد كان أول من كتب بنباهة عن أمراض العين ، وعن الجذام والحميات ، وعن العقاقير والسموم ، ولعل كتابه عن الجذام أول كتاب صحيح في هذا المضمار . ومن مؤلفاته : كتاب الفصول ، وكتاب الحميات ، وكتاب السموم ، والعمل باليد .

ابن الهيثم : ٩٦٥-١٠٣٩م

ولد في البصرة ومات في القاهرة . ويسميه الدكتور جورج سارتون (أعظم فيزيائي مسلم ، ومن أعظم تلامذة البصريات في جميع الأزمنة) . كان ذكيا جدا مما مكنه أن يكون طبيبا وفلكيا ورياضيا معا . وأهم كتابين له هما (كتاب المناظر) ، و (كتاب النور) ، وقد خصص في الأول جزءا كبيرا لتشريح العين وفسيولوجيا جهاز الابصار . وعلى الرغم من تأثره بجالينوس وحنين ابن اسحق في تشريح العين ، إلا أنه كان أصيلا في ملاحظات عدة ، ويكفي أنه رفض نظرية سابقيه القائلة بأن الرؤية تتم بصدور أشعة من الدماغ الى العين ومن ثم على الجسم المرئي ، وأثبت أن العكس هو الصحيح .

الرازي : ٨٥٠-٩٣٢م

ولد ونشأ في منطقة الري من بلاد فارس بالجنوب الغربي من طهران . ويعتبر امام المؤلفين في الطب العربي . ولع بالموسيقى ، ثم درس الفلسفة ، ولم يبدأ دراسة الطب إلا بعد سن الثلاثين .

ومن حيث الدقة في الملاحظة والتجربة فإنه يعد في درجة أبقراط . فقد كان أحد الوصاف الأصليين للأمراض ، وقد بلغ في الطب السريري أعظم الدرجات ، وانتخب من بين مائة طبيب رئيسا لمستشفى بغداد . ويمتاز الرازي بضخامة مؤلفاته وكثرتها ويفوق في هذا المضمار جالينوس ، وقد ألف نحو ٢٣٧ كتابا أكثرها مفقود ، وذكر له في كتاب (الفهرست)١١٣ مؤلفا من تآليفه الكبيرة .

ويعد الرازي أول من ابتكر خيوط الجراحة المسماة بالقصاب (Catgut) من أمعاء الحيوانات وأول من أنشأ مقالات خاصة في أمراض الأطفال ، كما أنه يعتبر أول من عمل مراهم الزئبق واستخدمها في علاج الامساك ، وهو الذي أدخل استعمال مراهم الرصاص الأبيض ضمن العقاقير الطبية . كما أنه أول من اكتشف تأثر حجم بؤبؤ العين بالضوء . وهو أول من شرح مرض الجدري وميزه عن الحصبة ، وله رسالة في ذلك . ومن أشهر مؤلفاته :

الحاوي ، وهو أضخم كتبه وأعظمها في الطب العربي . وكان هذا الكتاب أحد الكتب التسعة التي تكونت منها مكتبة الطب في باريس في القرن الرابع عشر . وأحسن ما فيه هو التعليقات السريرية على الأمراض وتدوين سير المرض مع العلاج المستعمل ونتيجة العلاج . وفيما يلي مثال بسيط من ذلك : « كان يأتي عبد الله ابن سواده حميات مخلطة تنوب مرة في ستة أيام ومرة أربع ومرة كل يوم ويتقدمها نافض يسير . وكان يبول مرات كبيرة ، وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعاً ، واما أن يكون به خراج في كلاه فلم يلبث إلا مُديدة حتى بال مِدّة . . . وانما صدني في أول الأمر عن ان ابتّ القول بأن به خراجا في كلاه أنه لم يشك إليّ أن قَطَنه شبه ثقل معلق منه إذا قام ، وأغفلت أنا أيضا أن أسأله عنه ، وقد كانت كثرة البول تقوي ظني بالخراج في الكلى . . . . الخ » .

المنصوري ، ويقع في عشرة مجلدات أهداه الى المنصور بن اسماعيل حاكم خراسان ، وقد ترجم الى اللاتينية وأصبح كتاب التدريس في أوروبا حتى القرن السابع عشر .

وله كتاب « برء الساعة » وفيه يسرد الأمراض التي يمكن شفاؤها في وقت قصير . وله الكتاب الفاخر ، والكتاب الجامع ، وكتاب الأسرار ، ورسالة عن حصوات المثانة والكلى ، ورسالة عن الروماتزم والنقرس ، ورسالة عن (المغص) . ومن أقواله : « إذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل لبث العلة » .

ابن سينا : ٩٨٠-١٠٣٧م

يعتبر أمير الأطباء في العصر الذهبي . كان ذا ذاكرة غريبة ، وذكاء مبكر ، وابن سينا مشهور في عالم الفلسفة كشهرته في عالم الطب ، وله قصيدة عن النفس . تتجاوز مؤلفاته المائة ، وقد كتب في شتى المواضيع حتى في علم طبقات الأرض ! وأهم كتبه (القانون في الطب) وهو موسوعة علمية ضافية وضع فيه بشكل مبوب ومنظم خلاصة الطب اليوناني والعربي ويحتوي على نحو مليون كلمة . وقد ترجم الى اللاتينية ونشر له نحو ٣٠ طبعة مبنية على الترجمة اللاتينية . قسمه الى خمسة أقسام أو كتب دون فيها الأمور النظرية والعملية في الطب والعاقير المستعملة .

ويعتبر أول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية . وقد سبق غيره الى معرفة بعض الأمراض التي تنتقل بواسطة مياه الشرب وقد عزاها الى حيوانات دقيقة لا ترى بالعين تعيش في الماء .

وكان أول من وصف التهاب السحايا الثانوي (Meningitis) ، وميز بين شلل الوجه الناتج عن سبب داخلي في الدماغ أو عن سبب خارجي ، وفرق بين داء الجنب وألم الأعصاب ووصف الجلطة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم ، مخالفا بذلك للتعاليم اليونانية .

الزهراوي : ١٠٣٠-١١٠٦م

لم تبلغ الجراحة في الطب العربي درجة ممتازة إلا عند ظهور « ابي القاسم ، خلف بن عباس الزهراوي » في الأندلس . لقد ذاعت شهرته في الشرق والغرب حتى أن بعض الكاتدرائيات زينت بصورته . كان أول من وصف علم الجراحة وصفا دقيقا شاملا . وأهم مؤلفاته كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) ، ويقع في ثلاثين جزءا بحث فيه عن العمليات الجراحية وطرق البضع في أمراض العيون والأسنان والنساء ، وفي الحصاة والفتوق مع بحث في الخلوع والكسور وطرق معالجتها .

وقد قيل فيه انه أول من ربط الشرايين ، وأول من استعمل الحرير وأوتار العود على هيئة خيوط للربط في الجراحة . وأول من استعمل محلول الملح في غسل الجروح .

وقد ثبت عنه قيامه بعمليات ثقب الجمجمة والبتر . وقد زين كتابه (التصريف) برسوم



رسم لطبيب عربي يعود مريضاً في أحد مستشفيات الاندلس .

للأدوات والآلات التي كان يستعين بها أثناء العمليات الجراحية . وتدل بعض هذه الصور على أنه كان يستعمل الملقط لاستخراج رأس الجنين عند تعسر الولادة . فلا غرو أن يكنى — بعد ذلك كله — بأبي الجراحة .

ابن النفيس

ولد في دمشق ومات فيها سنة ١٢٨٨ م عن ثمانين عاما تقريبا . وقد قضى معظم حياته يعمل في القاهرة حيث كان عميد المستشفى المنصوري . كان الى جانب عمله بالطب عالما بالفقه والحديث واللغة والمنطق . قال ابن العماد الحنبلي : « وأما في الطب فلم يكن على وجه الأرض مثله . وقيل ولا جاء بعد ابن سينا مثله » .

وله كتب عديدة في الطب أهمها (الموجز) و (شرح تشريح القانون) ، وأهم ما جاء به اكتشافه للدورة الدموية الصغرى أو الرئوية ، وبذلك يكون قد سبق سرفيتوس (Servitus) وهارفي الى ذلك بزمان . بل أكثر من ذلك لقد عقد الدكتور سامي الحداد مقالا علميا في مجلة المقتطف (تشرين أول سنة ١٩٣٦ م) ، أثبت فيه سبق ابن النفيس في هذا الاكتشاف، وأورد النص الذي يشرح فيه سرفيتوس نظريته ، وبين أنه ترجمة حرفية لنظرية ابن النفيس مما حمله على الظن بأن يكون سرفيتوس قد نقل عن ابن النفيس .

ويقول الدكتور الحداد : «يعود الفخر في اكتشاف الدورة الدموية الصغرى ، وفهم وظائف الرئتين وأوعيتهما الى العرب ، لا ينازعهم في ذلك أحد » .

وهذه فقرة مما كتبه ابن النفيس في (شرح القانون) حول الدورة الدموية الصغرى، يقول : وهذا التجويف هو التجويف الأيمن من تجويفي القلب . واذا لطف الدم في هذا التجويف فلا بد من نفوذه الى التجويف الأيسر . ولكن ليس بينهما منفذ فان جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة أو منفذ غير ظاهر ليصلح لنفوذ هذا الدم كما ظنه جالينوس ، فإن مسام القلب هناك مستحصنة وجرمه غليظ فلا بد وأن يكون هذا الدم إذا لطف نفذ في الوريد الشرياني الى الرئة لينبث في جرمها ويخالط الهواء ويصفى القلب وقد خالط الهواء . . . . » وقد كرر نظريته هذه في خمسة مواضيع من كتابه فظهر فهمه لها فهما أكيدا .

أولئك بعض أعلام الطب العربي في عصره الذهبي ، أتينا على ذكر بعض ما لهم من فضل على الطب ، في ايجاز شديد . وقد أغفلنا عمدا — لضيق المجال — ذكر نفر من أطباء الأندلس— باستثناء الزهراوي —كابن زهر ، وابن رشد ، وابن ميمون ، وابن البيطار ، وقد وددت ذكر اسمائهم هنا خشية الاحساس الموهوم بالفرق الكبير بين نهضة الطب في بغداد ونهضته في قرطبة .

المستشفيات في هذا العصر

مر بنا الكلام على مدرسة جنديسابور وما وصلت اليه من مجد وما كان لها من أثر في الطب العربي منذ الجاهلية . أما في العهد الأموي فقد أنشئت مستشفيات صغيرة للمجذومين والمكفوفين . أما المستشفيات بالمعنى الصحيح فلم تعرف إلا في عهد بني العباس ، وفي العهد الأموي في

الأندلس . وما أن بلغت المستشفيات في بغداد ودمشق والقاهرة حد الاتقان حتى تزعزع مركز جنديسابور وطمست سمعتها . وكان موقع المستشفى يدرس بعناية قبل تأسيسه ، ويحكى أن عضد الدولة استشار الرازي في موقع المستشفى الذي سمي فيما بعد بالعضدي ، فأرسل هذا غلمانه يعلقون قطع اللحم الطازج في أمكنة عدة من بغداد ، واختار موقع المستشفى في المكان الذي كان فيه تعفن اللحم أقل ما يكون .

وبالإضافة الى الموقع الصحي كان وجود الماء الجاري وقرب المستشفى من مسجد أمرين مرغوبا فيهما جدا . وكانت المستشفيات أنواعا مختلفة ، منها ما هو خاص بحالات معينة من المرض ، أو عمومي لشتى الحالات المرضية . منهـا :

١ – مستشفيات المجذومين ، أول مستشفى في الإسلام من نوعه أسسه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٧ م .
٢ – مستشفيات الأمراض العقلية أسست الملاجـىء للمعتوهين والمجانين في فجر تاريخ الإسلام ثم خصصت فيما بعد أجنحة في المستشفيات العمومية لهذه الحالات .
٣ – العيادات المتنقلة ، وكانت ترسل الى أماكن مختلفة من البلاد وخاصـة مناطق المستنقعات حيث لا يوجد أطباء .
٤ – المستشفيات العمومية ، كان في كل مدينة من مدن الدولة مستشفى عام . وهكذا كان في كل من بغداد والقاهرة ودمشق والقدس ومكة وحلب والعديد من مدن الأندلس مستشفى عام أو أكثر تنشئه الدولة أو بعض الأغنياء أو الأطباء ، وكان يعالج فيها أي من رعايا الدولة دون تمييز .

وقد قسم كل منها الى قسمين ، واحد للرجال والآخر للنساء ، كما قسم كل قسم إلى عنابر وغرف بحسب أنواع الأمراض . وكان يدير كل مستشفى كبير مدير له مركز مرموق في الدولة ، وكـان أثاث المستشفيات ومستوى الغذاء فيها من أرقى ما يكون . وكان في كل مستشفى هيئة من الأطباء والمرضين والممرضات ، وكان الأطباء ذوي اختصاصات مختلفة . ويروى أنه كان في المستشفى العضدي ببغداد ٢٤ طبيبا . ولو قرأت ما كتبه ابن أبي أصيبعة عن سير العمل والنظام في المستشفى النوري بدمشق لما وجدت فرقا كبيرا بينه وبين ما يجري اليوم في المستشفيات الحديثة . وكان بجوار كل مستشفى كبير صيدلية يشرف عليها مسئول قدير وكان يتصل بمعظم المستشفيات الكبرى مدرسة للطب يدرس فيها الطلاب ويتمرنون في المستشفى كما هي عليه الحـال اليوم .

ونحن نروي هنا هذه الطرفة للتدليل على مستوى الغذاء في تلك المستشفيات وحسن معاملة المرضى وهي على لسان الرحالة المشهور عبد اللطيف البغدادي :

« تمارض رجل فارسي يوما ، طمعا في الغذاء الجيد والمعاملة الحسنة في المستشفى النوري بدمشق فلما فحصه الطبيب المسئول أدرك الأمر ، وأمر «للمريض» بطعام شهي كالدجاج ونحوه . وبعد ثلاثة أيام عاد الطبيب «مريضه» وأخبره أن ضيافة العرب ثلاثة أيام فقط ، وأمر بإخراجه من المستشفى.

وفيما يلي ذكر سريع لأهم المستشفيات في العالم الإسلامي ابان العصر الذهبي كان أهمها ثلاثة : المستشفى العضدي ببغداد ، والنوري بدمشق ، والمنصوري بالقاهرة .

أنشىء المستشفى العضدي في عهد بني بويه ، بناه عضد الدولة الذي حكم ما بين سنة ٩٤٩ وسنة ٩٨٣ م ، وقد ضم ٢٤ طبيبا منهم جبرائيل ابن بختيشوع ، وابن التلميذ ، وثابت بن قرة الحراني ، كان أشبه بالقصر ، وكان ماؤه يجلب من دجلة . ولا يوجد لهذا المستشفى أي أثر في الوقت الحاضر .

أما المستشفى النوري فقد بناه نور الدين زنكي سنة ١١٥٤ م ، وقد ترأس هذا المستشفى ابـن المطران ، الطبيب الخاص لصلاح الدين الأيوبي ، وابن قاضي بعلبك وابن النقاش . وقد استقطب اهتمام الناس فقصده المرضى من الأندلس ومصر والعراق . وقد خلفت عاديات الدهر من هذا المستشفى بقية باقية كانت منذ عهد قريب مدرسة صناعية للبنـات .

وأما المستشفى المنصوري فقد أسسه المنصور قلاوون على غرار المستشفى النوري بعد أن عولج فيه على أثر مغص ألمّ به ، وقد تم ذلك سنة ١٢٨٢ م . كان هذا المستشفى أحسن بناء وأفخم عدة من أي مستشفى آخر في العالم الإسلامي حينئذ ، وقد رمم آخر ما رمم سنة ١٩١٥ م ، كما جعل منذ عهد قريب مستشفى للعيون . ومن مشاهير الأطباء الذين عملوا فيه ابن النفيس .

أما المستشفيات الأخرى فكان منها : مستشفى الرشيد ، وعلي بن عيسى ، والمقتدر ، والسيدة ببغداد ، والناصري والقشاشين وأحمد بن طولون وكافور الإخشيدي والمؤيدي في مصر ، والمستشفى القديم ومستشفى المجاذيم في سوريا ، وبيبرس في مكة والمدينة . ويروى أن عدد المستشفيات في قرطبة قد ربا على الخمسين ، وقس على ذلك .

وقبيل أفول شمس المعرفة عند المسلمين ، كان الغرب على أهبة الاستعداد للأخذ والتلقي والاستيعاب مما جناه العرب وحفظوه . وكان هنالك في العالم الإسلامي ثلاثة مراكز اشعاع أفاد منها الغرب : اسبانيا وصقلية والمغرب . يضاف اليها ما أفاده الصليبيون بالاحتكاك المباشر طوال قرنين من الزمان ، وأن ما يرويه أسامة بن منقذ لأكبر دليل على ذلك . أما أشهر تراجمة فترة النقل هذه فهما قسطنطين الأفريقي وجرارد كريمونـا (Gerard of Cremona) ، وقد ترجم هذا الأخير حوالي ٧٠ مؤلفا عربيا في الطب مثل كتاب القانون وغيره .

عصر الانحطاط وانتقال المعرفة الى الغرب

في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد وطئت بغداد أقدام المغول وحوافر خيولهم بقيادة هولاكو . وشاء الله أن تدمر هذه المدينة – كما دمرت مدن غيرها – على أيديهم ، وأن تحرق مكتباتها أو يلقى بما فيها من مراجع في الرافدين . وبعد ذلك بقرنين دالت دولة العرب في الأندلس على يد فردناند وايزابلا وبدأت شمس عزتهم بالأفول .

ومنذ ذلك القرن تبدل الحال غير الحال ، فقد أتى بعد ذلك على العالم الإسلامي حين من الدهر لم يكن فيه للطب ولا لغيره شيء يذكر ، ولم يقف الأمر عند حد الجمود في ميدان العلم والمعرفة ، بل واختفت آثار جهابذة الطب في العصر الذهبي ، وأصبح الطب فيما بعد ، الى أن بدأ النقل من الغرب في القرن التاسع عشر ، شعوذات وخرافات .

وفي أوائل القرن التاسع عشر بدأ الاحتكاك بين العالم الإسلامي والغرب من جديد واذا بمانح المعرفة فيما مضى يمد يده الى ممنوحها بالأمس ، وإذا بالزمن يدور دورة أخرى فتبنى المدارس وتقام كليات الطب والمستشفيات في بلاد العرب على الوجه الذي نراه اليوم .

عزيزي القارىء : ذلك من أنباء الطب العربي سقناه اليك ، لدحض ما افتري عليه بالبينة الناصعة ، وأن ما تقرأه اليوم ما هو إلا نزر يسير من كثير مما يضيق به المجال ، ولعل في هذا النزر مـا يفي بالغرض .

الرافعي

في ذكراه الثلاثين

بقلم الاستاذ عبد السلام هاشم حافظ

وهكذا يدور الزمان بعد رحلة متجددة . فقبل ثلاثين عاما ، وفي اليوم العاشر من شهر مايو سنة ١٩٣٧م انطلقت الى الأبدية روح علامة العرب الاسلامي ، وعلم من أعلام اللغة والأدب المغفور له مصطفى صادق الرافعي . وهو مـن هو ، عالم الدين ، والأديب الشاعر ، والمفكر والفيلسوف .. من صفوة الرجال عقيدة وثقافة ، عملا وجهادا ..

أعطى الوجود من نفسه ومن فكره .. من روحه ووجدانه .. من قلمه وفنه .. أعطى الكثير بأكثر أضعافا من الثمن الذي قايضته عليه الحياة ، وان ما أخـذ منها لم يره هو . فحياته الثانية هي المجد الذي كتب له ، تتوارثه الأجيال والناس وهو في صمته الناعم مرتاح من كل تلك المتاعب التي عاصرها . لهذا كانت حياة الرافعي التي أوفت على النصف قرن – اذ ولد في يناير سنة ١٨٨٠م – كانت حياته النضالية بالفكر والقلم والشعور ، ثمرة ناضجة من ثمار الانسانية الباقية . ولكنها باهظة الثمن .. شأن كل عظيم . فمنذ أن شعر وتأثر بمكتبة أبيه العلمية في طنطا – مسقط رأسه – وهو يحمل العبء .. عبء العيش ومتاعبه .. عبء الرسالة ومهامها . ولقد ارتضى تلك الحياة البسيطة الرتيبة في حقل وظيفته الصغيرة طوال عمره ليفرغ الى الفكر والقلم . وقد تزود بعلوم عديدة وثقافات متنوعة جعلت منه نسيج وحده في التفكير والأسلوب البلاغي الى جانب تدينه وعصاميته .

فهو رجل تقوى وفضل ، وهو من أعلام البيان والكفاح من أجل لغة القرآن وتعاليم السماء ومعجزاتها ، وهو الأمين الغيور على مقدساتنا الشرقية وتقاليدنا السامية ومقوماتنا الروحية . وما كتابه الضخم (وحي القلم) في أجزائه الثلاثة – الا صورة مصغرة من جليل فنه وأعماله الرائعة في النقد والبحث والتحليل والدراسة لشئون المجتمع والأدب ، وبأسلوب فريد يجمع بين البلاغة والقوة والرصانة الى الرقـة والخيال والابداع . وان كانت هناك دعوى بـأن الرافعي معقد الأسلوب أو أديب صناعة ، فهي دعوى تبرهن على قصر تفكير أصحابها ، وعليهم ينصب اللوم لأنهم لا يرتقون بمستواهم الأدبي أو الثقافي الى حد التكامل والفهم لمـا يكتبه عملاق ثـري العبارة عميق الاداء قوي الأسلوب .

ان مؤلفات الرافعي من دواوينه الأولى فكتابه (المساكين) الى أجزاء سفره الجليل (تاريخ آداب العرب) فاعجاز القرآن والبلاغة النبوية الى مباحثه الوجدانية الشعرية الأسلوب : (حديث القمر ، وأوراق الورد ، والسحاب الأحمر ، ورسائل الأحزان) وغيرها .. انها في جملتها تعتبر مدرسة أدبية لها طابعها المميز للثقافة المركزة الأصيلة . وكان العلامة الرافعي قد شغل في عصره الوسط الأدبي والعلمي في الشرق العربي بما أثاره من مناقشات وردود على من وجد عنده الانحراف أو الزيغ عن الطريق الصحيح سواء في المسار الخلقي أو النهج الديني أو العمل الأدبي أو اللغوي ..

والمتتبع لمراحل حياة الرافعي الأدبية الشامخة ، وما عاصره من تيارات سياسية ودينية وثقافية .. وما كتب من انتاج ذاتي أو انساني – اعتبر لبنة ضخمة في كيان الأدب العربي في مطلع هذا القرن – يعرف قيمة الرجل المسلح بزاد المعرفة .

لقد كان الرافعي ثروة أدبية كبرى وثروة بلاغية علمية لا تنضبان وهما تعيشان على مدى الأزمان ، فقد أوقف حياته كلها خالصة لرسالة الأدب والعلم والأخلاق .. حتى الطبيعة ساعدته بأن حجبت عنه الأصوات ، فكأنـه في خلوة دائمة ، وكان يقول : «اذا كان الناس يعجزهم أن يسمعوني فليسمعوا مني» . وهو الذي ما كان ليخشى في الحق لومة لائم . فعاش مترفعا عن كل ما يشين السمعة أو ينال من النفس كأكمل انسان عرف نفسه ..

ولا ننسى في هذه الكلمة العابرة أن نستذكر أيضا المرأة المثالية في حياة أستاذنا الراحل الرافعي .. زوجه وشقيقة صديقه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي – التي قال عنها الرافعي بعد أن خطبها منه : « وغشيتني غشية من الفرح فما تلبثت حتى مددت اليه يدي فقرأنا الفاتحة ، وما وقع في نفسي وقتئذ أنني أمـد يـدي لأخطب عروسي بنفسي ، ولكني أمدها لأتعرف الى العروس» .ولم يكن الرافعي قد رآها ، وانما كان احساسه يكشف له ، فاذا هي كما أمل وارتجى ، فوجد فيها أمل الحب والاخلاص . فما على قلبه الفنان اذا كان يطوف بالطبيعة حول كل جمال ليستوحي ويستلهم اذا كانت محاسن المرأة هي رمـز هذا الالهام وليس غاية يسعى اليها .

ولقد عرفت زوجه المتكاملة كيف تفهم رجل الفكر وترعاه في كل جوانب حياته ، حتى أمدته بذلك الهدوء النفسي المرجو لكل فنان ، ووفرت له وسائل الطمأنينة المنزلية ، وجعلته يعيش لفنه ورسالته لا يعكر عليه صفاءه أي باعث من تلك البواعث التي كثيرا ما نراها فيما تحدثه المرأة من مشاكل حياتها الخاصة مع اترابها .

ان معاني الحب وجمال المرأة التي ألهمت الرافعي فنون كتاباته في مؤلفات عديدة لم تكن بالنسبة له الا طيف فن يسرح معه خياله في حين ، لينتج الروائـع ليس أكثر . ونلمح هذا الصدق والايمان بالفن والفكرة في مثل واحد فقط من أقواله النابضة بالحياة .. يقول في مقدمته لكتابه « أوراق الورد » : « وتاريخ الحب عند صاحب هذه الرسائل كان كله نظرة أخذت تنمو وبقيت تنمو ، وهو حب قد كان من نمائه وجماله وطهره كأنما أزهرت به روضة من الرياض لا امرأة من النساء ، وكان مـن مساغه وحلاوته ولذاتـه البريئة كأنما أثمرت بـه شجرة خضراء تعتصر الحلاوة في أثمارها أصابع النور ... »

هذا هو كل ما ينشده الرافعي .. دعوة الى التكامل الانساني والى تلك الفطرة التي أرادها لنا الخالق بالعيش في سلام وإخاء وحب ..

واليوم ذكرى وفاته الثلاثون تمر في صمت ، والدنيا غيرها أيام ما كان يعرفها ويتبرم بها . اليوم نستذكر عملاقا ومصلحا اجتماعيا ، مفكرا للأدب الاسلامي مضى بجسمه ، ونذكر ما قدم لهذا الأدب العظيم من روائع مثيرة ، ومن نفحات زاكية دافعت طويلا عن المثل العليا وعن أوضاع المجتمع الاسلامي الأصيل .. مجتمع الفضيلة والعزة والانسانية . هذا الى جانب ذخائره الفذة التي تفاخر بها المكتبة العربية في كل زمان ومكان .

ذلكم هو الأديب بحق .. ألا وسلام من الله ورحمة منه نطلبها للرافعي في عالم الخلود ، في يوم ذكراه .

استدراك

سقط سهواً اسم الأستاذ عبدالسلام هاشم حافظ كاتب مقال «يوم الهجرة الخالد» الذي نشر في العدد الماضي محرم ١٣٨٧ . فنعتذر لهذا السهو غير المقصود .



السر المباح

للشاعر محمد هارون الحلو

بنفسي ، والهوى قدر متاح — سنا فيه إلى النّجم التّماح
أراه يضيء في قلبي غراما — فيصبي ، وهو في وتري صُداح
ويوقظ من لهيب الشّوق وجدا — يهزّ القلب ، وهو منىً فساح
هو النّور الذي يُبري جراحا — به النّيران فائرة وقاح
وما بالقلب من سفه ولكن — مشاعر تستثار ، وتستباح
يدقّ به البشير ، وما عليه — اذا استأنى ، وأيقظه الطّماح
دمٌ طهرٌ يسارقه بشوق — ويقهره على الشّوق التّياح
هو السّر الذي طوت الحنايا — عليه ، وما ينازعها افتضاح
وسمتُ الحبّ في العينين برق — له لمع كما ائتلق الصّباح
تماريه الجفون بلا مراء — تمازحه ، وليس به مزاح
وتخفيه ، وما هو من خفاء — وليس لجوهر النّجوى وشاح
وهمسٌ في الشّفاه يفيض بشرا — ووسوسة وألسنة فصاح
وما بك حين تخفي الوجد سر — إذا أفضى عن السّر البواح

اللعب بالألفاظ

بقلم الدكتور زكي المحاسني

اللعب صفة من صفات الانسان المرح تولد معه ، وتكاد تكون من غرائزه المقومة لنشأته . ويشاركه الحيوان باللعب ، وأكثر الحيوان لعبا القرود والسنانير . وقد يكون اللّعب بريئا كالذي يبدو من الأطفال بعد أن يدرجوا مـن المهود .

وقد يلعب الكبار . وعرف تأريخ الانسان لعب الكبار في الجاهلية والإسلام ؟ وفي تاريخ كل أمة ، وكان هذا اللعب فيها عبثا ، وفيه ما يجدد همم أصحابه كاللعب الرياضي .

ويلعب الفكر ويلعب القلم . وما يأتيان في هذا السبيل قد يحمد ، وقد يكون مصاحبا لـه الذّم .

واللّعب بالألفاظ مقيت ، تنفر منه الأذواق السليمة في التعبير وفي حياة البيان . ولم يكن هذا اللعب محببا الى النثر والشعر في أطوارهما مـن الأدب العربي القديم حتى جاء القرن الرابع للهجرة ، فأخذ اللعب بالألفاظ سبيله إلى البيان العربي وفن التعبير ، حتى أطلق على النثر الذي يتلعب به أصحابه ، وعلى الشعر المتكلف : (الصناعة اللفظية) .

والقيام بدراسة مطولة لتطور النثر والشعر في أدبنا العربي القديم والحديث وأثر اللفظ فيهما يدعو إلى تشعّب المناحي بما لا يناله مقال ، وانما ينبغي أن يفرد له كتاب ، لأن هذه الدراسة لا تجدي إذا كانت مجردة لوجه الفن وحده ، وانما هي ذات صلة بتاريخ الأمة ذاتها ، فحين تكون الأمة في صولة مجدها وقدرتها الفكرية والسياسية يكون أدبها سليما من الشوائب ، وتعبير كتابها وشعرائها ملائما لمجدها المعاصر . ومتى تحدّرت القوى السياسية وتضعضعت صولـة الحكم ، ظهر أثر ذلك في منتوج الفكر وثمار القلم ، فجف الفكر ، وأجدبت الأقلام .

وحيث تكون هذه الظاهرة في أدب أية أمة فإن الصناعة اللفظية تبرز من مكامنها مثل أدواء معنوية تصيب الفكر والقلم ، وتنزل بالأفهام الى درك وبيـل .

ولا نستطيع أن نقول — كما لا يقول معنا أحد من النقاد مهما يعنف بالنقد ويتتبّع الزلل في التعبير — إن الكتابة العربية منذ كانت في أثريها المنثور والمنظوم قد خضعت للعوامل اللفظية . فالقرآن الكريم يميّزه في بيانه الاعجازي العظيم ما فيه من الجمال اللفظي الذي يخلع على المعاني القدسية رونقا معجزا لا يستطيع القلم البشري أن يجاريه مهما يبذل من الجهد والتقليد . وخضع الشعر الجاهلي للجمال اللفظي أيضا . وكان اللفظ ذا تأثير كبير فيه مع سلامة الكلفة والتصنيع . ولقد ظل الميزان معتدلا بين النثر والشعر في مدى العصر الأموي ، لا يستطيع أن يهجم عليه اللفظ ليشغل أصحابهما بنفسه ، حتى دلفت العصور العباسية ، وحذق صناعة القلم العربي كتّاب من الفرس ، كان في طليعتهم اثنان أحدهما أفضل من الآخر ، وأبقى أثرا في تاريخ الفكر العربي ، وهما « أبو الفضل بن العميد » الذي سعد بلقاء شاعر العرب أبي الطيب المتنبي حين جاءه مسترفدا بعد دعوة ملحّة منه ، فمدحه ، فعدّ المتنبي نفسه أنه يزور فيـه أرسطاليس والاسكندر المقدوني حين قال في قصيدة مدحـه :

من مبلغ الأعراب أنـي بعدها
شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبـه
متملكـا متبديـا متحضـرا

فكان ابن العميد من أكتب أدباء عصره من العرب والعجم ، ولقد افتنّ الفنون في النثر العربي ، وأدخل على الجُمل العربية الحرة ما يقيدها من السجع المجذوب المستكره ، حتى كادت ديباجة كتاباته تكون مثل طنفسة فارسية ذات وشي وزركشة من كل جانب . وكان ابن العميد غزير المعارف إذا سافر حمل معه مكتبة على دواب لتكون كتبه إلى جانبه في كل مكان يحل فيه ، وقد كتب رسائل كثيرة كلها تلاعب لفظي وصناعة تركيبية تضجّ معانيها الحبيسة في هياكلها الموحشة الخشبية . وقد شاع فنه هذا بين مواطنيه في ظلال حكم عضد الدولة البويهي ، وملأ المجالس البغدادية حتى عرف بسيد كتاب قومه ، وأحبّ أن يعبث بأبي الطيب نفسه ، فأخذ ينقد له شعره ، وقد قبل المتنبي بنقده لكونه غريبا وفي بلده ، وقد سايره . وهو الذي كان يأبى أن يكون لأحد من البشر حكم عليه حيث يقول :

تغرّب لا مستعظما غـير نفسه
ولا قابلا إلاّ لخـالقه حكمـا

واني لمن وراء العصور أعجب له ، كيف أساغ نقد ابن العميد له وكيف اعترف له به بقولـه :

ما كفاني تقصير مـا قلت فيه
عـن علاه حتى ثنـاه انتقـاده

وأما الثاني فهو دون ابن العميد في القدرة الفكرية ، وهو « الصاحب بن عبّاد » الذي حرم أدباء عصره وبخاصة العرب منهم ، جوائزه الأدبيةالتي كان يغريهم بها فيشدون اليه رواحلهم ويسيرون اليه عبر الصحاري في الليل والنهار ، فإذا صاروا

اليه حجبهم زمنا دون أن يسمح بمثولهم في مجلسه ، واذا مدحوه عاب شعرهم وردّهم بلا مكافأة ، وكان هذا ديدنه . ويحدثنا الكاتب الكبير « أبو حيان التوحيدي » عن التهاويل التي كابدها في كزازة الصاحب بن عبـاد وقسوته على الشعراء والأدباء الذين كانوا يقصدونه مسترفدين ، وماصنعه به هو وكيف ردّه خائباحتى انقلب إلى بغداد يؤلف في الصاحب بن عباد كتابا بمثالبه .

وقد التقى المتنبي بالصاحب ، فدعاه الصاحب إلى مدحه ، فأجابه بقولـه :

لا أمدحك ولو شاطرتني مالك كله ، لأنني لا أمدح إلا المـلوك !

فحقد عليه الصاحب وألف كتابا يعيب به شعره ، وضاع كتابه هذا بين سمع الأرض وبصرها ، وبقي شعر المتنبي .

لقد كان الصاحب بن عبّاد من أشهر اللاعبين بالألفاظ العربية يصدرها سجعا مقيتا ويعيدها رجعا بأساليب تفقدها كل روعة عربية في مؤداها الطبيعي . وكان اللعب بالألفاظ عند ابن العميد والصاحب فاتحة عصر للتدهور الانشائي في التعبير العربي المبين . ومن يدري ؟ فربما كان ما صنعه هذان الكاتبان الفارسيان وسيلة مقصودة « لتحطيم الترسل العربي والأسلوب البياني » الكريم . حتى جاءت عصور الانحطاط بزخرفها اللفظي وجمودها الفكري ، فانقلب التعبير العربي إلى صناعة محضة خاضعة لفنون البديع وأنواع البلاغات المقيتة التي قضت على الأسلوب العربي السليم ، وأعيد الاتّهام بأن ابن العميد والصاحب أدخلا الضيم على النثر العربي بالصناعة اللفظية المتكلفة ليقضيا على التراث العربي المكين في البيان الحر .

وجاء عصرنا الحديث ، يحرر ذيول اللّعب بالألفاظ ، حتى استطاع القلم العربي بعد الحرب الكونية الأولى ثم الثانية ان يشعر بالحرية ويتنفس الراحة من ربقة السجع والصناعات اللفظية . وقد نبغ في عصرنا من الكتاب المرسلين من لم يستطيعوا أن يفارقوا الجمال اللفظي ، فكانت آثارهم القلمية جلية فنية غير مجفوّة ولا نابية ، إذ كانوا يوازنون بين دوام الفكرة وجمال اللفظ دون أن يكون لاحد منهما على الآخر سلطان يمحو أثره ويذهب برونقه .

ولست بعد كل هذا أفوت أبا العلاء المعري الذي كان شيخا كبيرا من شيوخ القدرة اللفظية في أدبنا العربي القديم ، شعره ونثره مع شمس حكمته المشرقة وأنوار فكره الثاقب . وكان لألفاظه الفكرية والأدبية عالم خاص بها كما يبدو في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) وفي كتابه (الفصول والغايات) . وكانت القوى اللفظية عنده ذات شحنات كهربائية تسيطر على المعاني ، فلا ينفك عنها ، كالذي صنعه في « رسالة الغفران » . ولقد نحس ونحن نقرأ أبا العلاء ما يحس بـه المعجبون بالشاعر الكبير (بول فاليري) الذي يقول : « انني أهندس الكلام ، حين أكتب شعـري » .

ومعنى قوله أنه يملك القدرة على الصناعـة اللفظية ، حتى استطاع أن يغير مفاهيمها اللغوية في المعاجم . فالكلمة عنده لها معنى خاص يضفيه هو عليها ، كما صنع الصوفيون المسلمون في أدبنا العربي فجاءوا بألفاظ ليست قاموسية ، وانما هي نتاج معاجم صوفية لم تكتب ولم تحص حتى اليوم ، ولم تجمع ألفاظها الاصطلاحية وتدرس دراسة لغوية خاصة . فما صنعه أبو العلاء ، لا يمكن أن يعد بحال من الأحوال — لعبا لفظيا ، لأن التلاعب بالألفاظ يحط من قدر المعنى ، بينما نجد أبا العلاءيسمو بمعانيه سموّه بألفاظـه .

ولم يشجع الجاحظ أبو عثمان اللعب بالألفاظ ، كما ذهب بالرأي بعض دارسيه ، وانما كان يقول بأن اللفظ يميز كاتبا عن كاتب ، وبذلك نحـا منحى الفكرة الخاصة بالأسلوب . وهو ذاته كما قال في العصور الأوربية المتأخرة العالم النباتي والأديب الفرنسي (بوفون) : « الأسلوب هـو الرجـل » !

وشهد عصرنا ضربا آخر في لعب الألفاظ ، وهو لغة الدبلوماسيين . فالحاذق منهم يجري في تعابيره ألفاظا مرنة حينا ولزجة تارة أو مسترخية (ممطوطة) أو متقلصة ، فيكون أشد لعبا بها من أحذق اللاعبين الانشائيين الذين كانوا إذا لعبوا بألفاظهم جعلوها تسلية أو ممارسة لطبيعة مـن طبائعهم الصادقة .

وكيف كان يدور الأمر في التعبير والفكر ، فإن الخالق الذي أعطانا نعمة اللفظ مكسوا بروح الفكر ، أرادنا على استعماله سالما من كل انحراف. ومتى عمد المتكلم أو الكاتب إلى أن يسيء التصرف بهذه النعمة — التي جمّل الله بها الإنسان وفضّله على الكائنات الأخرى ، فوهبه الكلام — بإدخال اللعب عليها ، وجعلها وسيلة بهلوانية . فقد عدّ نفسه في حلقة المهرجين ، لا الكتاب المفكرين ، والأدباء الموهوبين .

طرائف

مسؤولية

نظر مدير البنك إلى الموظف الجديد ، وقال : إن المنصب الذي سأسنده اليك يحتاج الى شخص مسؤول . فأجاب الموظف بافتخار : لن تجد يـا سيدي شخصا مسؤولا مثلي ، فعندما كنت في عملي السابق كان كل خطأ يحدث يقولون أني مسؤول عنه.

وسام جديد !!

يفخر الكثيرون من الفرنسيين بأنهم لا يحملون أي وسام من الأوسمة التي تمنحها دولتهم بسخاء ذات اليمين وذات الشمال . وقد اقترح بعض هؤلاء تخصيص وسام خاص يميزهم عن حملة الأوسمـة .

يلعب مع شكسبير ..

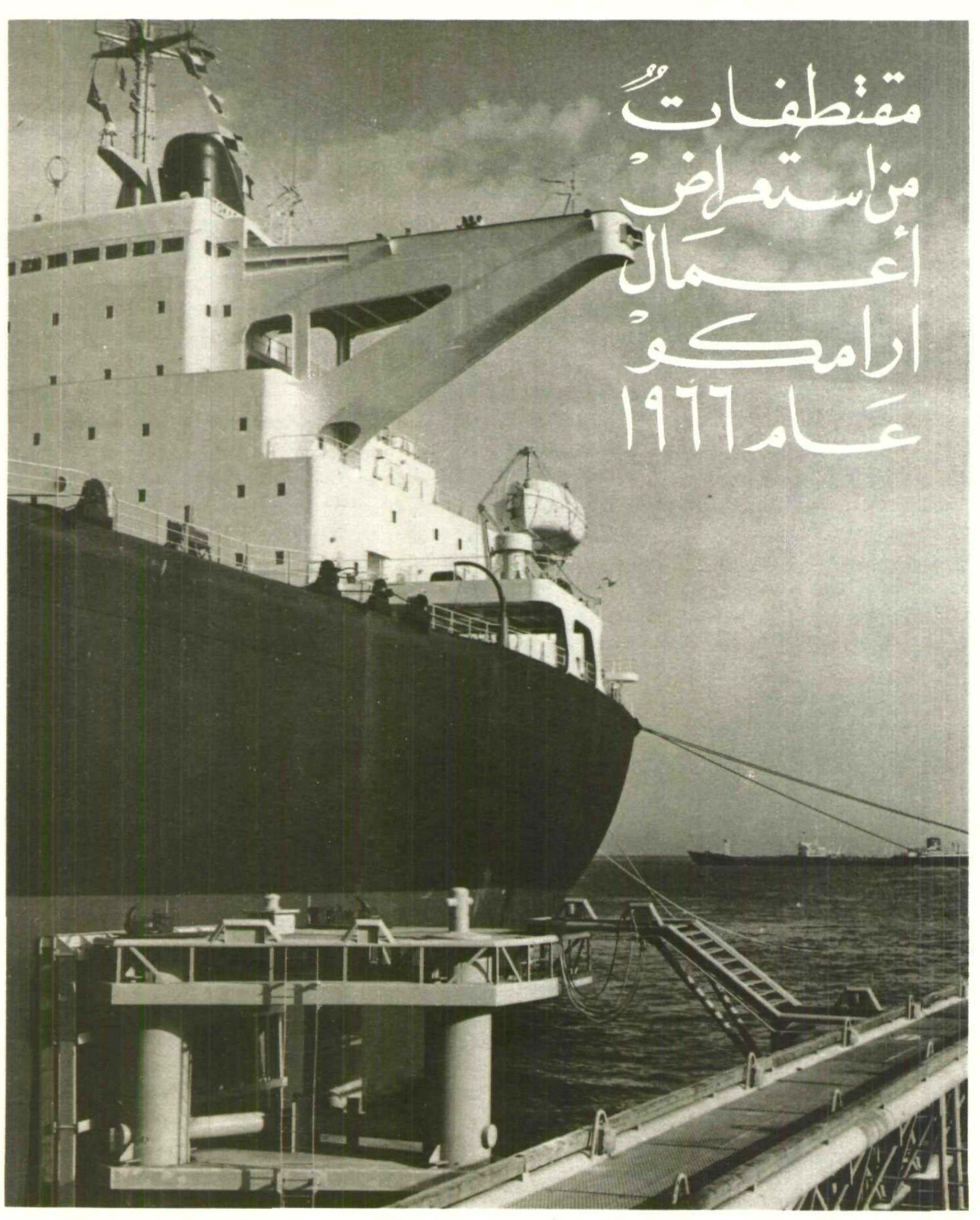
عاد الإبن من المدرسة في ذلك اليوم ، وراح يوجه إلى أخيه عبارات غير مهذبة . . . وامتعض الأب — وهو قروي — وأخذ يعنف ابنه على تفوهه بمثل هذه العبارات . فقال الصبي محتجا : ولكن شكسبيرا استخدم هذه الألفاظ نفسها ، فصاح الأب ثائرا : إذن . . فإني أمنعك أن تلعب مع شكسبير هذا بعد اليوم . . .

نشاط

قال صديق المحاضر له وهـو يعجب لنشاطه المتزايد في القاء المحاضرات يوميا في أنحاء البلاد : كيف تستطيع القاء كل هذه المحاضرات بلا كلل ذهني أو تعب .

فرد عليه : إني ألقي دائما المحاضرة نفسها . . فقال صديقه : لنفترض أن الناس جاءوا يسمعون محاضرتك الثانية ، فماذا يكون موقفك ؟

فقـال : لا تخف ... إنهم لا يأتون ثانيـة .



الناقلات الضخمة ، تحمل الزيت الخام ومنتجات البترول من رأس تنورة الى الأسواق العالمية . وتبدو هنا الناقلة العملاق ، « طوكيو مارو » لدى وصولها الى الجزيرة الاصطناعية لشحنها بالزيت الخام .

درجت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) على اصدار تقرير سنوي يتضمن استعراضا تفصيليا لأهم الأعمال التي تم انجازها خلال العام . وبمناسبة صدور هذا التقرير تقدم القافلة فيما يلي موجزا لأبرز الأعمال والنشاطات التي قامت بها رامكو خلال العام نفسه .

اعمال الزيت

انتاج الزيت

سجلت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) أرقاما عالية في انتاج الزيت خلال عام ١٩٦٦ ، فقد بلغ مجموع ما أنتجته خلال ذلك العام ٨٧٣ ٣٤٩ ١٤٨ برميلا ، أي بزيادة ١٨ في المائة على ما انتجته عام ١٩٦٥ . وفي ٣٠ أكتوبر من العام المنصرم بلغ مجموع ما أنتجته أرامكو من الزيت الخام منذ بدء أعمالها ثمانية بلايين برميل . وبذلك فقد احتلت المملكة العربية السعودية المرتبة الثالثة بين البلدان المنتجة للزيت في العالم الحر بعد الولايات المتحدة وفنزويلا ، والمرتبة الأولى بين الدول المنتجة للزيت في الشرق الأوسط .

وبدأ الانتاج من حقلي أبي سعفة ومنيفة المغمورين بالماء ، ومن الامتداد الشمالي لحقل القطيف على اليابسة . كما كانت الشركة قد أوشكت في أواخر العام على الانتهاء من اعداد جزء من حقل «البري» للمباشرة في الانتاج .

وسجلت الشركة أرقاما عالية في عمليات حقن الغاز والماء في مكامن الزيت في حقول بقيق ، والغوار والخرسانية للمحافظة على الضغط فيها . فقد بلغ معدل ما حقن من الماء غير الصالح للشرب في هذه الحقول الثلاثة ١٢٧ ١٠٢ ١ برميلا ، أي بزيادة ٣٠ في المائة على ما حقن عام ١٩٦٥ . كما زادت كميات الغاز التي حقنت في حقل بقيق وفي منطقة عين دار بنسبة ٧٠ في المائة حتى وصلت ما متوسطه ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٣٧ قدم مكعب في اليوم .

احتياطي الزيت

قدر الاحتياطي الثابت وجوده من الزيت في نهاية العام بنحو ٧٤٤ ٧٤ مليون برميل أي بزيادة اجمالية قدرها ٩١٠ ١١ ملايين برميل عن التقرير السابق .

شحن الزيت

بلغ عدد الناقلات التي أمت الفرضة البحرية في رأس تنورة خلال العام ٦٧٧ ٢ ناقلة حملت ما مجموعه ١٠٧ ٩١٣ ٦٤٦ براميل من الزيت الخام ومنتجات البترول . وفي ٢٤ ديسمبر من العام الفائت سجلت الفرضة البحرية رقما جديدا بشحن ٩٥١ ٣٦٢ ٣ برميلا في يوم واحد .

ولرفع الطاقة على الشحن واستقبال الناقلات الضخمة الحديثة ، أنشأت الشركة أول جزيرة اصطناعية لتسهيل عمليات الشحن في المياه العميقة ، كما أتمت بناء ثلاثة صهاريج للزيت الخام سعة كل منها ٠٠٠ ٥٠٠ برميل ، بالاضافة الى صهريج واحد للبوتان سعته ٠٠٠ ٢٠٠ برميل .

انتاج غاز البترول السائل

بلغ متوسط ما شحن من غاز البترول السائل المبرد ٣٥٦ ١٥ برميلا في اليوم ، وهو رقم جديد تم تسجيله . وقد أقيمت مرافق اضافية لرفع الطاقة على استخلاص البروبان والبوتان وشحنهما ، الى ٥٠٠ ٣٧ برميل في اليوم قبل نهاية العام الجاري . ومن بين هذه المرافق عمود لازالة الايثان يزن ١٤٠ ٢٣٨ كيلوغراما . وقد تم نقل هذا العمود الضخم الذي يبلغ طوله ٣٠ مترا من فرضة رأس تنورة الى بقيق ، على عربتين قطر اطاراتهما نحو ثلاثة أمتار . وكذلك مد خط أنابيب ثان لنقل غاز البترول السائل المبرد الى الفرضة البحرية حتى يصبح في الامكان تحميل الناقلات بالبروبان والبوتان في آن واحد .

اعمال التكرير

بلغ مجموع ما كرر في معمل التكرير برأس تنورة خلال العام ٩٢٥ ١٢٩ ١١٨ برميلا من الزيت الخام والنفتا ومادة البترول الأساسية التي يصنع منها غاز البترول السائل . وبلغ متوسط كمية الزيت المسال الى معمل التكرير ٦٤٤ ٣٢٣ برميلا في اليوم ، وفي ٢٢ أغسطس من العام نفسه

منظر جوي لساحة خزانات الزيت الخام التابعة للفرضة البحرية في رأس تنورة . ويبدو الى أقصى اليسار خزانات غاز البترول السائل الشبه كروية .



جانب من مرافق الجزيرة الاصطناعية التي في استطاعتها استقبال كبريات الناقلات في العالم .



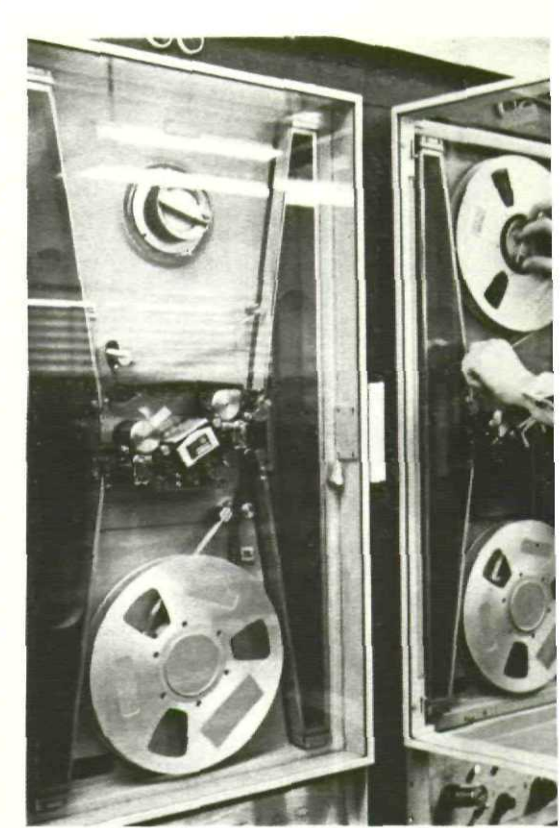
أحد الأجهزة الحاسبة الالكترونية التي يستخدم
اذا كانت هناك تشكيلات أرضية تحوي زيتا .

سجل معمل التكرير رقما جديدا حين بلغ ما كرر فيه في ذلك اليوم ٣٦٧ ٨٨٥ برميلا .

فرق التنقيب تستخدم اساليب جديدة

استخدمت فرق التنقيب العاملة في الربع الخالي أول مجموعة تستوردها أرامكو من العربات المعدة خصيصا للسير على الرمال وعددها اثنتا عشرة عربة . وذلك في نقل الرجال والمعدات الخاصة بأعمال تسجيل الاهتزازات . وقد بلغ عدد الفرق التي تولت أعمال تسجيل الاهتزازات على اليابسة وفي المناطق المغمورة ستا ، أي بزيادة ثلاث فرق على الفرق التي عملت عام ١٩٦٥ .

ومن الأساليب الحديثة التي استخدمتها أرامكو في حقل التنقيب ، أجهزة حاسبة الكترونية يستعين بها الجيوفيزيائيون في



جيوفيزيائيو أرامكو للتوصل الى معلومات دقيقة لمعرفة ما

جمع معلومات دقيقة عن العلاقات بين مختلف الطبقات الصخرية على عمق آلاف الأقدام تحت سطح الأرض ، ومعرفة ما اذا كانت هناك تشكيلات تحتوي على الزيت .

حفر آبار تجريبية جديدة

قامت الشركة بحفر ثلاث آبار تجريبية خلال العام ، اثنتان منها في جهام والخفيسة ، وهما تقعان الى الشمال الغربي من خريص ، والثالثة في « جريبيعات » ، الواقعة بين النعيرية والوريعة في الشمال . بيد أن هذه الآبار الثلاث قد هجرت لعدم العثور على الزيت بكميات تجارية فيها .

وفي شهر ديسمبر من العام نفسه ، بوشر في حفر بئر تجريبية رابعة في « الكدن » بالجزء الشمالي الشرقي من الربع الخالي .

وقد نشرت مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية بحثا فنيا في جيولوجيا الصخور الرسوبية في المملكة يقع في ١٧٧ صفحة . وتولت الانفاق على طبعه وزارة البترول والثروة المعدنية في الحكومة العربية السعودية . أما المعلومات التي شملها البحث فقد جمعتها أرامكو خلال فترة ناهزت ثلاثين عاما .

ارامكو وموظفوها

بلغ عدد موظفي أرامكو المنتظمين في المملكة في نهاية العام ١٢ ٦٦٤ موظفا ، منهم ٨١ في المائة من السعوديين ، و ١١ في المائة من الامريكيين ، و ٨ في المائة من جنسيات أخرى .

وقد بلغ مجموع العوائد التي دفعتها الشركة الى الموظفين السعوديين وأفراد عائلاتهم خلال العام ١٠ ٩٧٠ ٨٧٠ ريالا سعوديا .

وبلغت نسبة المشتركين في نظام الادخار من الموظفين السعوديين نحو ٩٧ في المائة .

كما بلغ متوسط الدخل السنوي للموظفين السعوديين ١٢ ٧٥٨ ريالا سعوديا ، أي بزيادة ٨,٨ في المائة على ما كان عليه في عام ١٩٦٥ .

وقد بلغ ما أنفقته الشركة على علاج موظفيها وعائلاتهم وعلى برامج تطعيمهم ووقايتهم من الأمراض مبلغ ٥٤ ٤٥٠ ٠٠٠ ريال سعودي ، كما أنفقت مبلغ ٢ ٧٠٠ ٠٠٠ ريال على معالجة غيرهم من الأفراد .

٤٦٢ موظفا يحصلون على قروض للبيوت

وبلغ عدد الموظفين السعوديين الذين اشتروا أو بنوا بيوتا بقروض منحتهم الشركة اياها بموجب برنامج تملك البيوت خلال العام ٤٦٢ موظفا . وبذلك بلغ مجموع عدد البيوت التي حصل عليها الموظفون منذ بداية هذا البرنامج حتى نهاية العام ٦ ٣٤٦ بيتا . أما مجموع القروض التي نالها الموظفون السعوديون فقد بلغ ٢٠٨ ٦٥٠ ٠٠٠ ريال سعودي ، سددوا منها ما مجموعه ٧٤ ١٦٩ ٠٠٠ ريال سعودي .

الموظفون السعوديون يشغلون ٥٦ في المائة من الوظائف الرئاسية والادارية

وقد بلغت نسبة الموظفين السعوديين الذين يعملون تحت اشراف رؤساء من بني وطنهم ٧٠ في المائة ، كما شغل الموظفون السعوديون ٥٦ في المائة من مجموع الوظائف الرئاسية والادارية في الشركة البالغ عددها ١ ٤١١ وظيفة .

التدريب داخل المملكة وخارجها

استمر تدريب الموظفين السعوديين طوال العام داخل المملكة وخارجها . فقد بلغت نسبة الموظفين السعوديين الذين كانوا يدرسون موضوعات عالية في مراكز التدريب الصناعي هذا العام ٧٠ في المائة ، مقابل ٨ في المائة في عام ١٩٥٦ . كما ضمت صفوف المراكز والورش الخاصة بالتدريب الصناعي ١٩٠٠ موظف الحقوا بها لتلقي التدريب في أوقات العمل و ١٠٠٠ موظف التحقوا بها طواعية في غير أوقات العمل .

وقد ابتعثت الشركة خلال العام ١٩٣ موظفا سعوديا لتلقي العلم والتدريب خارج المملكة . كما عقدت دورة تدريبية في شؤون الادارة مدتها أربعون أسبوعا تناولت ٣٣ موضوعا عن مختلف أعمال أرامكو ، حضرها ١٣٠ موظفا من الرؤساء والمرشحين السعوديين لوظائف رئاسية .

ارامكو والبلد الذي تعمل فيه

أسهمت أرامكو في تقديم المشورات أو الدراسات الفنية والمساعدات المادية لمئات من الأفراد والمؤسسات السعودية استجابة لطلبات تقدموا بها لتقدير امكانات تسويق أنواع معنية من الخدمات أو المنتجات .

ارامكو وموظفوها ينفقون (٦٠٢) مليون ريال سعودي

وقد بلغ ما أنفقته أرامكو وموظفوها خلال العام في شراء بضائع محلية وخدمات ودفع ضرائب شخصية وغيرها من الأمور التي تستهدف المصلحة العامة ، نحو ٦٠٢ ١٩٠ ٠٠٠ ريال سعودي ، مقابل ٥٢٨ ٧٥٩ ٠٠٠ ريال سعودي أنفقت في عام ١٩٦٥ .

كما بلغت قيمة مشتريات أرامكو من المؤسسات المحلية نحو ٢٣٥ ٩٩٨ ٠٠٠ ريال سعودي بالاضافة الى ١٠٥ ٧٩٩ ٥٠٠ ريال سعودي دفعتها لقاء شتى الخدمات كإقامة الصهاريج ومد خطوط الأنابيب وتقديم وسائل نقل الموظفين . وهذا يمثل زيادة بنسبة ٤٠ في المائة على ما أنفقته الشركة على الخدمات المحلية عام ١٩٦٥ .

تخفيض أسعار الكهرباء في المنطقة

نتيجة للمساعدة المادية والفنية التي قدمتها أرامكو الى احدى شركات الكهرباء الخاصة بموجب اتفاقية أبرمت معها كان أن خفضت أسعار الكهرباء بما يزيد على ١٥ في المائة للمستهلكين في الخبر والدمام والقطيف وسيهات وصفوى والمناطق المجاورة لها .

انفاق... ٦٥٩١ ريال على ابحاث التراخوما

وقد تمكن فريق للابحاث يضم اخصائيين من أرامكو وجامعة « هارفرد » من اعداد مصل مضاد للتراخوما نجح جزئيا في منع الاصابة بهذا المرض مدة تصل الى ستة أشهر . ولا تزال الجهود تبذل في هذا المضمار لاطالة مدة فعالية هذا المصل. وقد بلغ ما أنفقته أرامكو على أبحاث التراخوما خلال السنوات العشر الفائتة بالتعاون مع جامعة « هارفرد » نحو ٦ ٥٩١ ٠٠٠ ريال .

بناء اثنتي عشرة مدرسة جديدة

قامت أرامكو بانشاء ست مدارس للبنين وست أخرى للبنات . وبذلك بلغ عدد المدارس التي تحملت الشركة نفقات انشائها وتشغيلها وصيانتها ثلاثين مدرسة .

مساعدة ارامكو للمزارعين تسهم في زيادة محاصيلهم

هذا وقد تمكن عدد كبير من مزارعي المنطقة الشرقية نتيجة للمساعدات التي تلقوها من خبراء أرامكو الزراعيين ، من بيع ما قيمته ٦ ٣٩٠ ٠٠٠ ريال سعودي من البيض والدواجن والخضر . وعلى أثر هذا التشجيع أصبح هناك مصدر يعول عليه في تزويد الشركة والمواطنين بالمنتجات الزراعية . وقد بلغ مجموع ما اشترته الشركة من المزارعين المحليين ١٣٦ ٠٨٠ كيلو غراما من الخضار .

إزدياد مبيعات منتجات البترول والزيت الخام داخل المملكة

لقد ساعدت المشاريع الانشائية ومشاريع توليد الكهرباء واستخدام الآلات في الزراعة وانشاء الطرق الحكومية ، على زيادة مبيعات منتجات البترول والزيت الخام والغاز الطبيعي داخل المملكة العربية السعودية بمقدار ٢٤ في المائة .

كما ان نشاط حركة انشاء الطرق أدى الى زيادة مبيعات الاسفلت الى نحو ٦٣٣ ٠٠٠ برميل خلال العام .

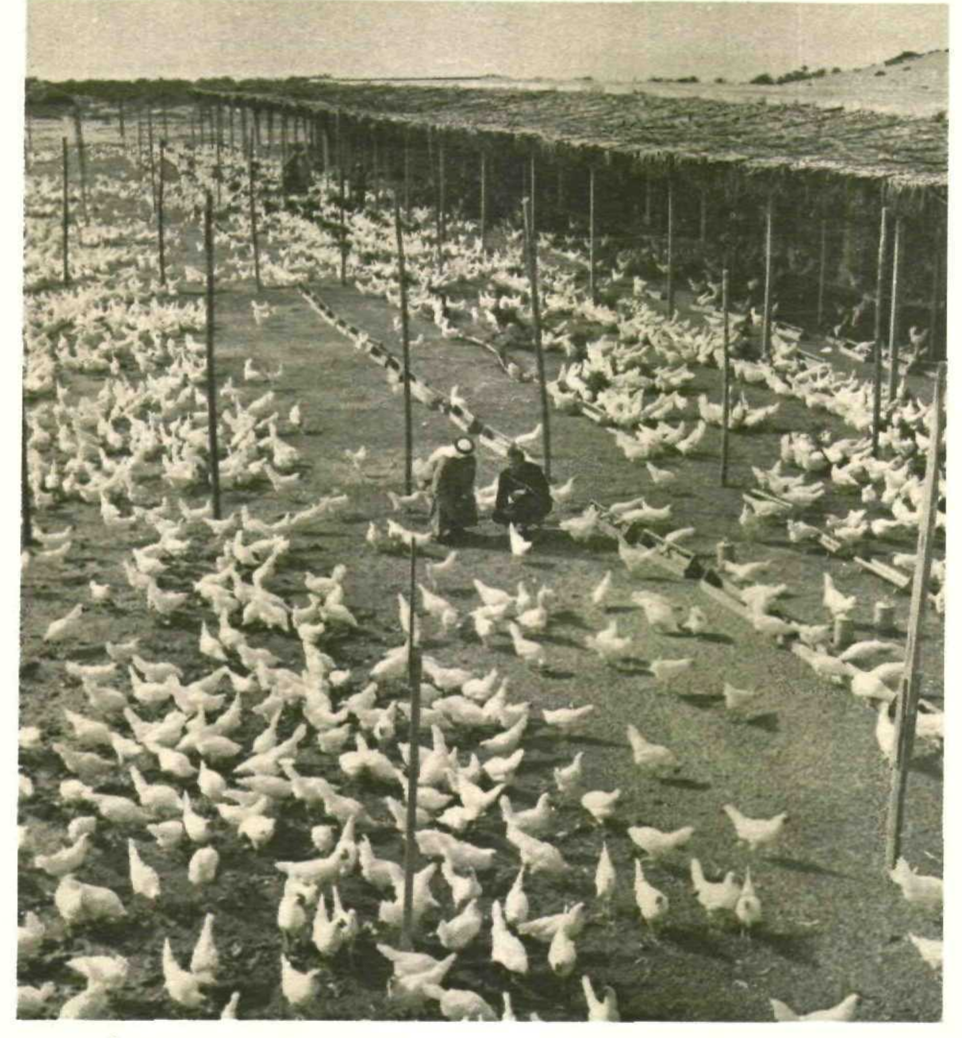




ساعدت محطات التجارب الزراعية في المنطقة الشرقية على تحسين المحاصيل الزراعية في المنطقة . وتمثل هذه الصورة جانبا من محطة التجارب الزراعية في الهفوف .



يحرص موظفو أرامكو على استخدام وسائل السلامة أثناء العمل .



السيد سامي لبان (الى اليمين) من ادارة التنمية الصناعية المحلية في أرامكو يتدارس مع أحد مزارعي بلدة سيهات بعض الأمور المتعلقة بتحسين تربية الدواجن في المنطقة .

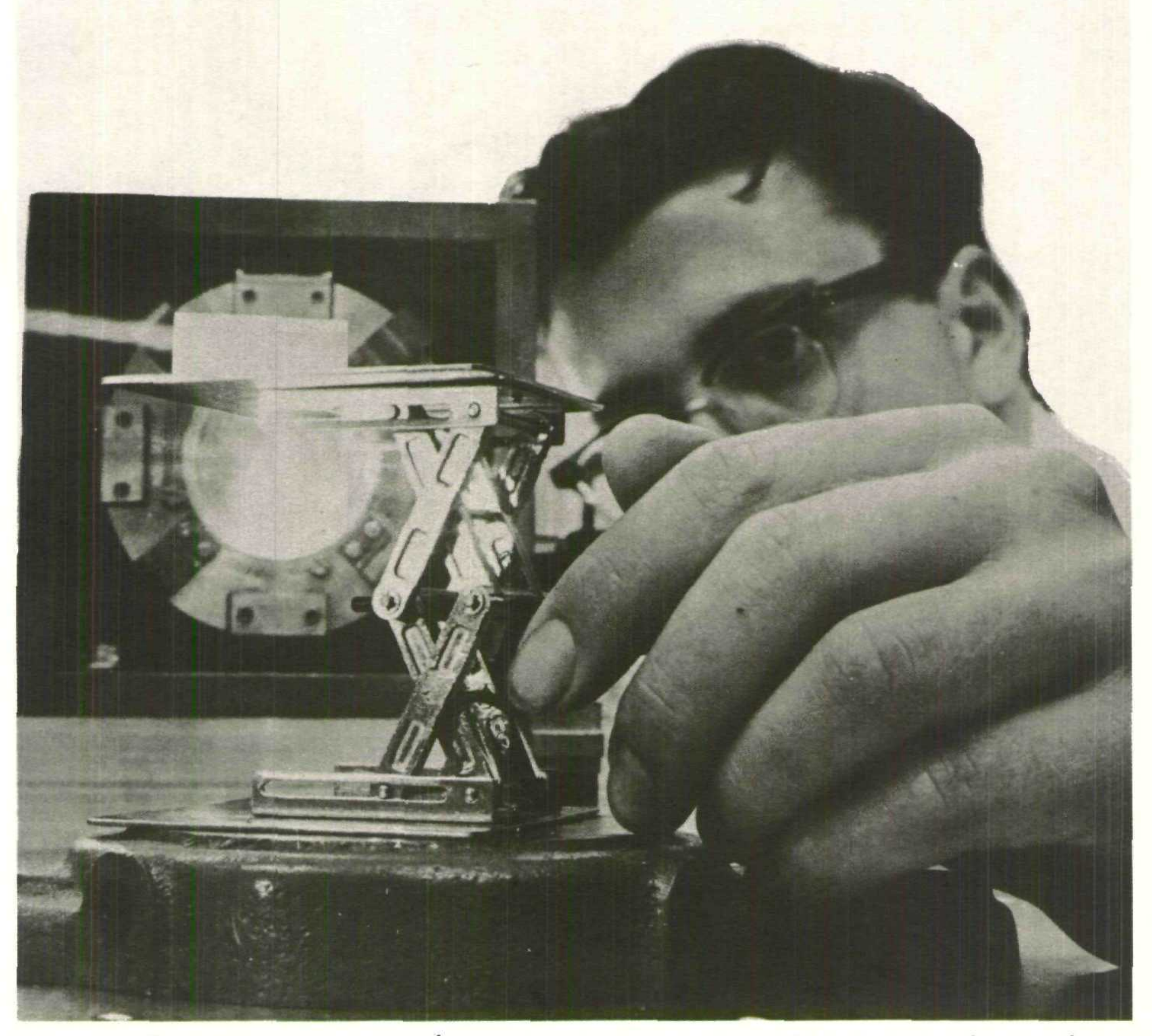
أحد فصول ورش التدريب الصناعي في الظهران حيث يتلقى بعض الموظفين السعوديين تدريبا عمليا على الرسم .



أشعة "لازر" الثاقبة

بقلم الدكتور نقولا شاهين

تردد الأوساط العلمية والفنية أحاديث شيقة عن فتح جديد في عـالم الاشعاع ، ينتظر أن يحدث تطورات مهمة في حقل المواصلات والصناعة والطب وغيرها . لقد كان اهتمام مهندسي فن المواصلات، من نحو نصف قرن ،متجها بكليتهنحو توليد أشعة ضوئية لها خواص الأمواج الراديوية في نقل الإشارات عبر الفضاء ، لأن الأمواج الراديوية تحتل منطقة ضيقة في الطيف الكهرطيسي وهذا يحد في



بامكان أشعة « لازر » أن تعطل شبكة العين اذا ما نظر فيها الانسان مباشرة ولو للحظة واحدة . وتبدو أشعة لازر في وسط الصورة وقد التقطتها آلة تصوير خاصة .

عملها . أما الأمواج الضوئية فإنها تحتل منطقة أوسع بكثير في ذلك الطيف ، لكنها تحتاج إلى تعديل حتى تصبح قابلة للتوجيه وذات أطوال متماثلة . والمعروف أن الضوء العادي يتألف من أمواج مختلفة في الطول ، من الحمراء إلى البنفسجية وهو ينبعث من الجسم المتوهج في جهات مختلفة .

كانت الأبحاث تدور اولا في حقل تحسين مولدات الأمواج الراديوية ، وقد دعي الجهاز بالمازر «Maser» ، وترمز هذه اللفظة إلى عبارة انجليزية معناها بالعربية «تقوية الأمواج الدقيقة بقذف اشعاعي منبه» . ومن هنا بدأت فكرة ابتكار جهاز ضوئي يولد الأمواج الضوئية المطلوبة ، فألقوا على هذا الجهاز اسم «لازر» «Laser» وذلك بإبدال حرف بآخر ، هو الحرف الأول في كلمة «Light» أي الضوء .

ولقد تمكن العلماء من احداث موجات راديوية قصيرة باستخدام جزيئات الأمونيا ، فهذه باهتزازاتها تولد أمواجا خاصة تستخدم في تقوية اشارات راديوية ضعيفة تأتينا من الفضاء . كل هذا لم يكن كافيا في نظر العلماء فاتجهت أفكارهم نحو التحكم بالأمواج الضوئية ، وتم لهم ذلك منذ ست سنوات ونيف لأول مرة . أما اليوم فإن نحوا من خمسمائة مؤسسة في الولايات المتحدة الأميركية تقوم بدراسات واسعة في هذا المضمار نظرا لما يأملون تحقيقه بواسطة هذه الأشعة .

ولنلق الآن نظرة على أول جهاز توصلوا بواسطته إلى التحكم في أشعة الضوء لتحل محل الأمواج الراديوية . كان ذلك بواسطة قطعة من الياقوت طولها نحو أربع سنتيمترات وقطرها نحو نصف سنتيمتر ، قد صقل طرفاها ووضعت بالقرب من مصباح الكتروني يعطي نورا متقطعا . فعندما تشحن ذرات قطعة الياقوت بالطاقة الصادرة عن المصباح الألكتروني ، تصبح هي بدورها قادرة على ارسال النور بالتعاون مع ذرات مجاورة ، فينبثق منها نور في اتجاه واحد له أمواج متماثلة ، يمكن توجيهه كما هي الحال في الأمواج الراديوية . اما النور هذا فانه كان قويا للغاية ولمدة جزء من الفي جزء من الثانية . وهناك طريقة أخرى لتوليد أشعة لازر وهي تفوق ما تقدم في نواح عديدة . هذه الطريقة تستخدم الغازات بدلا من البلورات .

لقد أجريت تجارب عديدة بواسطة هذه الأشعة تظهر لأول وهلة أنها من ضروب الخيال . فالأشعة التي أرسلها العلماء عبر الفضاء في السنة الماضية ، عادت إلى الأرض بعد ثوان قليلة ، بعد أن أحدثت بقعة نيرة على سطح القمر يبلغ قطرها نحو ثلاثة كيلومترات وعشري الكيلومتر . بالمقابلة مع هذا نجد أن أقوى الأضواء الكشافة لا تتمكن من الوصول إلى القمر ، وان هي وصلت فإنها تحدث بقعة قطرها أربعون ألف كيلومتر .

هنا في الفضاء أما على الأرض فقد حدث ما لا يقل روعة عما تقدم . إذ أنه في فترة جزئين من مليون جزء من الثانية تمكنت هذه الأشعة من ثقب قطعة من الألماس ، كما أنها بسرعة ودقة أحدثت ثقوبا في قطعة فولاذية ، وتمكنت من لحم قطعة معدنية . وعلاوة على هذا ، نرى هذه الأشعة تدخل منطقة علم الجراحة فتأخذ محل مبضع الجراح وتفتك بخلايا خرّاج في العين . ومن أروع ما توصل اليه الأطباء في هذا الباب هو استعمال هذه الأشعة بجراحة العين فتوصلوا إلى لصق الشبكية المنفصلة بمدار العين الخلفي ، أو لحمها بتوجيه هذه الأشعة إلى نقطة معينة من الشبكية .

كان الأطباء قد توصلوا إلى بعض هذه العمليات بواسطة مصابيح تبعث أشعة ضوئية قوية ، لكن هذا كان يستغرق نحو نصف ثانية ، بينما تستغرق العملية نفسها بواسطة أشعة لازر أقل من جزء من ألف جزء من الثانية . ولما كان بإمكان هذه الأشعة أن تنفذ من خلال أنسجة الجسم ، صار الأطباء يؤملون أن يعتمدوا عليها في عمليات جراحية متنوعة .

من أبرز ما ستحققه هذه الأشعة هو الاتقان في فن المواصلات ، إذ أن عمل الأمواج الراديوية محدود في نطاق معيّن وهو عشرة آلاف مليون تردد في الثانية . وعلى سبيل المثال سنأخذ قضية التلفزيون الملوّن ، وهذا يلزمه لكل قناة عشرة ملايين تردد في الثانية ، فيصبح عدد الأقنية مائة قناة لأننا لا نتمكن من استخدام أكثر من عشرة في المائة مما لدينا من تردد ليبقى مجال للمواصلات التلفونية اللاسلكية . أما أشعة لازر فانها سترفع رقم التردد إلى مائة مليون بليون تردد في الثانية ، وهذا يفسح المجال لمليون محطة تلفزيونية ، تاركا مجالا معادلا للمواصلات التلفونية وغيرها . وسيصبح بالإمكان ، وهكذا يقول العلماء ، أن تحمل حزمة واحدة من هذه الأشعة ألف مليون محادثة هاتفية أو ألف برنامج تلفزيوني في الوقت نفسه .

ولا ينحصر استخدام أشعة لازر في الطب والمواصلات والصناعة ، بل أنه سيحدث تطورات مهمة في حقول أخرى عديدة . ففي عالم الكيمياء يعتقد أن هذه الأشعة تتمكن من التأثير على التفاعلات الكيميائية ، ذلك لأنها متماثلة الأمواج ، وهذا يمكننا من حصرها في بقعة تعادل مقاييس أمواج الضوء . وفي حال كهذه يصير بالإمكان تركيز طاقة الأشعة بكاملها على خلية واحدة ، والقضاء على بعض الأنسجة المريضة . ولا شك أن التفاعلات الكيميائية تحتل مكانة ذات أهمية في حياة الإنسان والحيوان والنبات ، فأصبح التحكم فيها بواسطة هذه الأشعة أمرا خطيرا للغاية .

ولقد صرف علماء الفيزياء جهودا عظيمة لمعرفة ما إذا كانت سرعة الضوء تتأثر بحركة الأرض في الفضاء . وقد أثبت العالمان ميلكسون ومورلي بتجربة فريدة أن سرعة الضوء لا تتغير بسبب حركة الأرض ، وأن ليس هناك ما كانوا قد فرضوا وجوده قديما كمادة تملأ الفراغ أي الأثير . ويقوم اليوم فئة من العلماء بإجراء تجربة بواسطة أشعة لازر للتثبت من نتائج تجربة العالمين ميلكسون ومورلي ، وقد أعدوا لذلك مركزا في جامعة ميشيغن في أميركا . أما الجهاز فإنه حساس للغاية وبإمكانه أن يكتشف فرقا في سرعة الضوء مقداره ثلاثة مليمترات في الثانية . وقد أظهرت النتائج الأولى أن الفرق ، إذا كان هناك فرق في سرعة الضوء ، هو أقل من هذا المقدار . وفي تجربة ميلكسون ومورلي كان مقدار الخطأ مائة وخمسين مليمترا في الثانية . وهناك تجارب أخرى قديمة سيعاد اجراؤها على ضوء هذه الأشعة الجديدة .

وبهذه المناسبة يحضرني ما روي عن ارخميدس احد مشاهير علماء اليونان ، من أنه نصب مرايا على أبراج احدى المدن اليونانية ، ووجهها إلى سفن العدو التي تحاصر مسقط رأسه لاحراقها ، لكن هذه التجربة باءت بالفشل نظرا لضعف الحرارة الموجهة بواسطة المرايا . أما اشعة لازر فيمكن تركيزها بشكل يجعلها مصدرا لحرارة قوية . فعدسية لها محرق طوله سنتيمتر واحد تتمكن من حصر الأشعة في بقعة قطرها جزء من مائة جزء من السنتيمتر ، أي مساحتها جزء من عشرة آلاف جزء من السنتيمتر المربع . وينتج عن ذلك طاقة مقدارها مائة مليون واط في السنتيمتر المربع . وهذا يكفي لإذابة أي جسم مهما كانت قدرته على عكس الضوء .

أمام العالم اليوم فتح جديد يمكّنه من اتقان فن المواصلات والطب والصناعة وحقول العلم المختلفة ، رائد العلماء في ذلك خير البشرية والكشف عما يوجد في الطبيعة من قوى يمكن سرجها لخير البشرية جمعاء .



تأليف الدكتور زكريا ابراهيم

عرض وتعليق الأستاذ أبو طالب زيّان

قد يعجب القارىء ، حين ألقي ضوءا خافتا أو أمسك بذبالة من هذا المصباح الذي سلطه الأستاذ الدكتور زكريا ابراهيم على علم من أعلام العرب البارزين في تاريخ العروبة والاسلام ، هو ابن حزم الأندلسي المنطقي ، الجدلي ، المتكلم ، الفقيه ، المؤرخ ، الشاعر ، عالم النفس الكبير .

ولكن اذا عرف القارىء ، أنني بحكم عملي قد راجعت الكتاب ، وألممت بطرق اتجاهاته ، ومسالك دروبه ، لا يسعه الا الاتجاه نحو هذه الدراسة ، والغوص على لآلئها ، واكبار صاحبها الذي أعطانا سيرة حية تنبض روحا ، وتفيض حياة .

كشف الأستاذ الدكتور زكريا ابراهيم في هذا الكتاب ، عن الاطار الحضاري الذي نشأ في كنفه ابن حزم ، وتربّى في أحضانه ، وقضى الجانب الأكبر من حياته بين ظهرانيه ، وأرخ للفترة التي عاش فيها الفيلسوف، وهي فترة انتقال من عهد الخلافة الأموية الى عهدحكم الطوائف ، وألقى ضوءا ساطعا على تأثر ابن حزم بهذه التنقلات ، في تفكيره وأسلوب حياته ، وبخاصة ما اعتور بلاده من تقلبات وما اختلف عليها من أحداث .. والواقع ان ابن حزم كان يتنقل باستمرار بين ميادين الأدب والشعر والمنطق والفلسفة والكلام والفقه والحديث واللغة والتاريخ وعلم الانساب . ويقول الدكتور زكريا : « ان رحلات ابن حزم الاضطرارية والاختيارية ، قد انعكست على تفكيره ، فجعلت منه مفكرا موسوعيا ، يتنقل باستمرار من علم الى علم ، ومن موضوع الى موضوع ، دون أن يحصر نفسه في دائرة واحدة بعينها من دوائر المعرفة » .

ولقد أصاب مفكرنا الدكتور زكريا حين ناقش الوسط الاجتماعي الذي عاش فيه ابن حزم ، ومظاهر الاختلاط بين العناصر والسلالات ، ثم خلص الى سيرة الفيلسوف ، ومضى يناقش ما اعتاده مؤرخو سير الفلاسفة وما انحدر اليه نسب ابن حزم من أن جده الأكبر كان مولى ليزيد بن أبي سفيان ومن انه كان فارسيا نصرانيا ، ثم أسلم .

نشأ ابن حزم في بيت أبيه نشأة المترفين المنعمين ، فلم يعرف في صباه ، كما قال الدكتور زكريا ، الحرمان أو الحاجة . فقد أحاطه أبوه بالرعاية التامة ، وفرض عليه الرقابة الشديدة ، واستقدم لتهذيبه وتثقيفه العلماء الأفذاذ ..

ويروي الدكتور زكريا أن ابن حزم قد تلقى تربيته الأولى على يد بعض النساء العالمات من أهل بيته ، ويؤيد حجته بقول ابن حزم في كتابه « طوق الحمامة في الألفة والألاف » : « ولقد شاهدت النساء وربيت في حجورهن ، ونشأت بين أيديهن ، ولم أعرف غيرهن ، ولا جالست الرجال الا وأنا في حد الشباب .. وهن علمنني القرآن ، وروينني كثيرا من الأشعار ، ودربنني على الخط » .

ثم يناقش الباحث في تَصَفّح أثر هذه البيئة في حياة الفيلسوف ، وكيف عملت على ارهاف حسّه واشعال وجدانه .

واهتمام الدكتور زكريا بهذا الجانب من جوانب ابن حزم الكثيرة ، مرجعه الى تفرد الفيلسوف ذاته بهذا الجانب الحي في حياته ، وقيادته الفذة في هذا الميدان ، واهتمامه بالكثير من المسائل النفسية والحرص على فهم دوافع الناس الشعورية واللاشعورية .

ولكن هل استوت الحياة لابن حزم وتطامن شامخها لأن يمضي الفيلسوف فيما وطّن نفسه فيه واتخذه سبيلا ومنهجا ؟

الواقع ، ان حياة ابن حزم لم تسر سيرا طبيعيا عاديا ، بل تأثرت بما مر بصاحبها من أزمات وما عرض له ولأسرته من نكبات ...

فرضت الحياة على ابن حزم الكثير من الرحلات الاضطرارية،اذ اضطر الى مغادرة قرطبة على أثر الفتن التي قام بها البرابرة واتجه بعد ذلك الى المرية ، وأقام فيها الى أن تنبه له حاكم المدينة ، فسجنه ونفاه الى أن بلغه نبأ المناداة بعبد الرحمن بن محمد حاكما على بلنسية ، فركب اليها بحرا ، وأقام بها وصار وزيرا للمرتضى الى أن قتل هذا الأخير . عند ذلك عاد الفيلسوف الى قرطبة حيث كانت الخلافة للمستظهر قتل بعدها المستظهر وسجن هناك ، الى أن عفي عنه فخرج من قرطبة الى شاطبة .

يقول الدكتور زكريا : « على الرغم من أن النفي والسجن قد ضيعا عليه الكثير من مكاسب الآباء ، كما حرماه من الاستقرار بموطنه الأصلي ، فان من المؤكد مع ذلك ، أن ابن حزم قد عاش طوال حياته ، موفور الرزق ، عريض الجاه » .

لكن واقع حياة ابن حزم وتنقلاته الكثيرة وسجنه ونفيه ، وغضب بعض السلطات عليه ، تحتم أن يعيش الفيلسوف حياة خشنة ، على غير ما تعود ، بل هي قد أماتت فيه الكثير من التطلعات التي كان يصبو اليها ، وتتوق نفسه الى التحليق في أجوائها .

وليس عيب ابن حزم في طموحه ولا في تثقيفه ، وانما عيبه في التقلبات التي عاصرها ، والرياح الهوج التي اجتاحت حياته حينا بعد حين ، بما كان يكتنفها من حسّاد ، ويحيط بها من أخدان وخلان .

وما وقع لهذا الفيلسوف الكبير في ميدان السياسة ، وقع له في ميدان الفقه لا سيما عندما رحل الى القيروان للدفاع عن مذهبه الظاهري ومجادلة الفقهاء والعلماء .

يقول الدكتور زكريا : « ان ابن حزم الذي تفرغ للدفاع عن الفقه الظاهري ، قد وجد نفسه مضطرا الى التنقل بين مدن الاندلس ، رغبة منه في نشر مذهبه واكتساب اتباع له . فكان يتنقل بين الشاطبة والمرية وقرطبة وبلنسية ، وكانت له معارك كلامية مع فقهاء تلك البلاد وعلمائها » .

ودون شك ، فقد وقف الدكتور زكريا من هذه الخصومات بين ابن حزم وفقهاء عصره موقف المحلل المنصف الذي أعطى لكلا الطرفين حقه من الحجة والقول والعدل .. » فحين اشتد الخصام بين ابن حزم وفقهاء عصره ، تألبوا عليه وضللوه وطاردوه بدعاياتهم من بلد الى بلد ، وشنعوا عليه في كل قاصية ودانية » .

غير أن ابن حزم ، لم يقف من هذه الخصومات موقفا سلبيا ، بل لقد رد لهم الجميل بمثله ، فكال لهم الصاع صاعين ، وشنها عليهم حربا عوانا ، لا هوادة فيها ولا رحمة ...

ولقد أخذ المؤلف نفسه في كل قضية يثيرها واقع ابن حزم في سيرته وحياته بالمناقشة الحرة ، والوقوف أمامه موقف العالم المنصف في كل ما يتناول من بحث أو نظر .. فالخصومة التي استهدف لها ابن حزم يعزوها بعض المؤرخين الى جرأته النادرة على المناداة بالمذهب الظاهري بينما قال غيرهم : ان تعصب ابن حزم للأمويين كان هو السبب المباشر لذلك الخصام الشديد الذي لقيه من جانب معاصريه ، في حين زعم آخرون : ان جهل ابن حزم بسياسة العلم ، وتطاوله على علماء عصره ، هو الذي ألّب عليه قلوب الغالبية العظمى من الخاصة والعامة على السواء ...

والواقع أن الدكتور زكريا ، قد وجد في هذا الصراع المستعر بين ابن حزم وفقهاء عصره ، فرصة للمناقشة ، والادلاء برأيه مع عدم الانحياز الى أي جانب من الجانبين ، حتى مع تلاميذ ابن حزم الذين عملوا على نشر مذهب أستاذهم حيا وميتا ..

على أن من أبرز الفضائل في هذا الكتاب ، ما سجله المؤلف لابن حزم من تواليف ، مع الوقوف عند كل واحد من هذا الانتاج الواسع الغزير محللا وناقدا ومظهرا لرأيه في جرأة كما كان ابن حزم نفسه في كل ما كتب أو ناقش أو جادل ، لا يهمه غير اظهار رأيه والدفاع عنه ، والاقناع به ، فيصور ابن حزم بعقله الفلسفي ، ومنزلته في ميدان الثقافة فيقول : « نحن نجد لديه عقلية منطقية مرتبة تحسن تقديم المقترحات وانتاج النتائج ، وتنفر من الحشو واللغو والاستطراد ، وتعرف كيف تسير في عرض موضوعها بطريقة منهجية منظمة ... »

ويعنى الدكتور زكريا بأسلوب ابن حزم في مؤلفاته الأدبية وكتاباته العلمية ، ويلاحظ ملاحظة دقيقة على هذا الانتاج الذي خلفه الفيلسوف ، في اتسامه بالدقة والتنظيم .

ويعود المؤلف الى اظهار ميزة ابن حزم في كتاباته العلمية وحرصه على تحديد معاني الألفاظ ، تجنبا للشغب والالتباس في الجدل والنقاش ، كما فعل ذلك في كثير من كتبه ..

وقد ساير الدكتور زكريا ابن حزم مسايرة علمية في عامل التوازن العاطفي أو توافق الطاقات الانفعالية . فابن حزم يتميز بمزاج حاد عنيف ، وطبع عارم صارم وحين يناقش المؤلف هذا الفصل الذي ألم فيه بطائفة مما قيل في ابن حزم ، يفيض صراحة في الحق ، وصرامة في الدفاع ، وصلابة في مواجهة ما اعترض صديقه الفيلسوف ، وان كان يرجع ذلك الى الشجاعة النادرة التي كان يتحلى بها ابن حزم وضربه عرض الحائط بالمجاملة والرياء ، ولو أدى ذلك الى انصراف الناس عنه أو تألبهم عليه ..

على أن التواضع الذي صاحب الدكتور الباحث ، وهو يحلل شخصية ابن حزم الفقيه المؤرخ ، قد جعله ، يساير صديقه المؤرخ على علاّته دون الوقوف أمام كثير من آرائه ويروّج لها ويدعو اليها دفاعا عن مذهبه .

لقد عثر المؤلف الفاضل على ابن حزم مؤرخا ممتازا ، اجتمعت له من صفات الصدق والضبط والدقة وقوة الملاحظة وحسن الاستدلال ، ما كان كافيا لأن يجعل منه راوية أمينا ، ومحققا نزيها ، ومؤرخا واسع الأفق .

ويعلق الدكتور زكريا على أهمية ابن حزم كمؤرخ ، فيقول : « انه لا ينحصر فيما خلف لنا من مصنفات تاريخية ، بل هو يتجلى بصفة خاصة في المنهج الذي اصطنعه لدراسة أحداث التاريخ ، والحكم على وقائع عصره » .

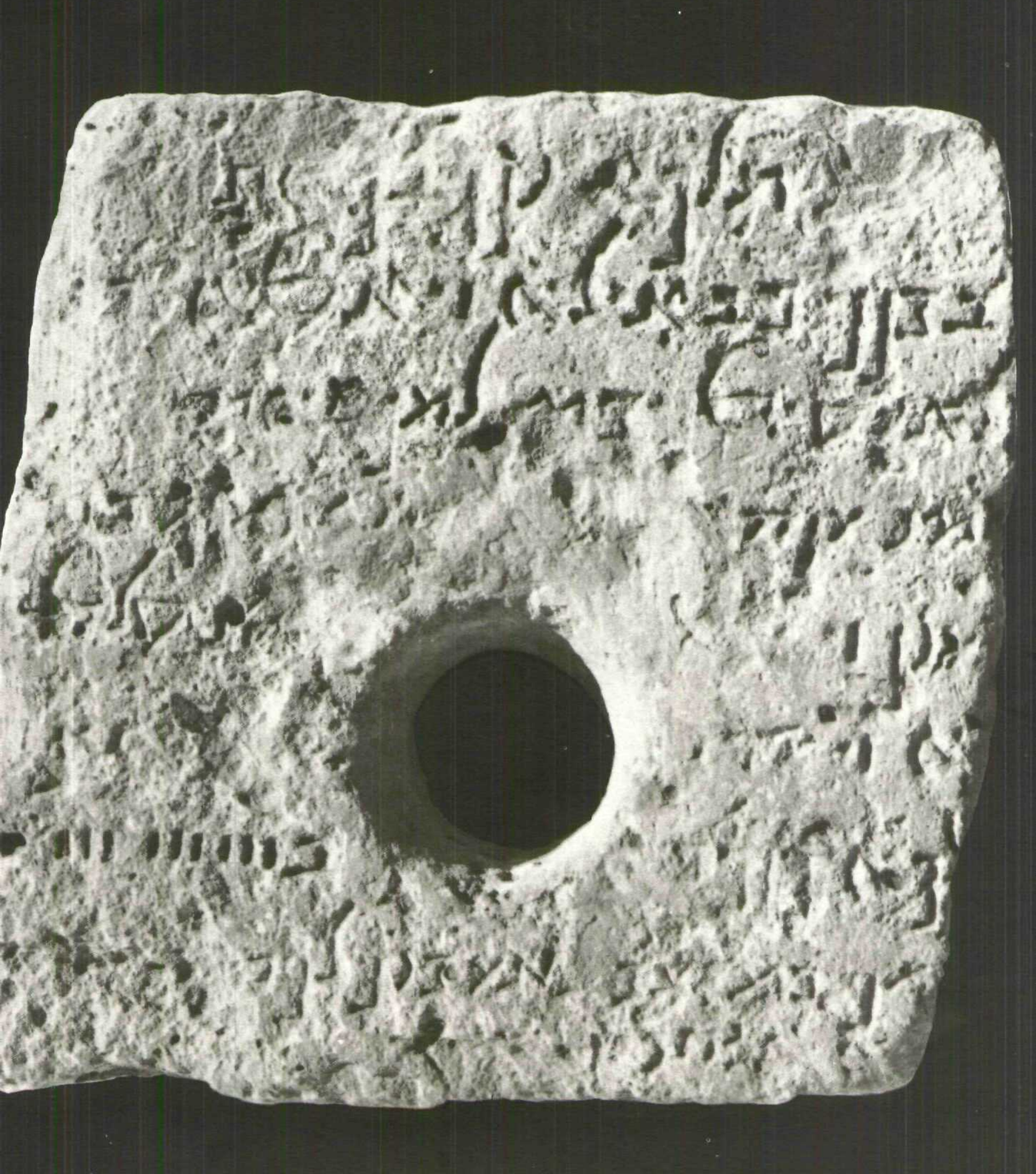
ولا شك في أن الدكتور الباحث ، قد أراد أن يصانع صديقه ، ويسير الى جانبه في كل ما قال . اذ الواقع ، انه ليس لابن حزم منهج تاريخي يحتذى ، فهو تارة يميل الى ضغط الوقائع ، وتارة أخرى الى الاسهاب ، ومرة ثالثة يعينه الحكم على أحداث عصره ، برضاه عنها أو غضبه عليها ، ولا يصح في عرف المؤرخين الحكم على أي حدث من أحداث العصر دون التجرد من الهوى ونحن نعلم أن ابن حزم قد ناله الكثير ، وأصيب في نفسه وماله ومركزه ، وان كانت له نظرات تاريخية صائبة يرسلها بين الحين والحين في عبارات قصيرة تحمل صورة حية لتاريخ طويل .

ومن الأبواب النافعة في هذا الكتاب ، ذلك الباب الذي ناقش فيه الدكتور الباحث ، وضع ابن حزم في علم النفس ، وسلوكه هذا المسلك في حياته ، اعتمادا على وجهة نظره .. فأول ملاحظة في سلوك الفيلسوف في عداد علماء النفس هي رسالته في الألفة والألاّف ، وهي رسالة من وجهة نظر الدكتور ، تتسم بالتسلسل المنطقي في العرض ، والترتيب المنهجي في الموضوع . ولكن مع الاعتذار لباحثنا الأكبر ، لست أشك في أن هذه الرسالة وغيرها مما كتب ابن حزم في موضوعها ما هي الا خطرات نفس عنّت لأديب وشاعر ، يريد أن ينفس عن نفسه المكروبة ، وفؤاده الملتاع ، ولا سيما اذا عرفنا أن الفيلسوف تربّى تربية مترفة ، وعاش عيشة لاهية صاخبة في أحيان كثيرة .

وهناك ملاحظات أخرى ساقها الدكتور زكريا ، ليثبت بها ان ابن حزم أول من وضع المحاولات المبكرة في علم النفس ، ولكن الحق يقال ، ما وجدت دراسة أعمق لعلم من أعلام العربية كهذه الدراسة ، ولا تعصبا لعالم ضرب بسهم وافر في كل باب من أبواب العلم ، كهذه البحوث التي اشتمل عليها هذا الكتاب ، وان كنت أجهر بأن هذه هي الدراسة الأولى والأخيرة التي سد بها الدكتور زكريا ابراهيم هذه الثغرة الواسعة ، التي وقف على بابها علماء وباحثون في الشرق والغرب دون أن يصلوا جميعا الى ما وصل اليه الدكتور المؤلف في هذا الكتاب .

معرفة الحقائق التاريخية من خلال النقوش

بقلم الاستاذ عباس طاشكندي



يتحدث التاريخ الحديث الينا بكثير من الثقة والاعتزاز في اعتماده على المصادر الأصيلة سواء المادية منها أو الروائية أو القلمية . إلا أننا حين نوجه إلى أنفسنا سؤالا عن أي المصادر أصدق أو أيها أقرب إلى الصواب ، فإننا نميل إلى أن نستخلص ما جاء منها عفوا عن تلك العصور ، ألا وهي المصادر التلقائية . وقولنا عنها تلقائية يدل على أنها جاءت دون أن يقصد بها خدمة قضية مسبقة . فإن أشتاتا من الأمور في حياة تلك العصور قد جاءت الينا على هذا النحو اعتمادا على ما درسناه عنها دون أن نكلف أنفسنا بالتحري عن مدى صحتها أو مدى صدقها في تصوير ذلك العصر .

ويبدو من هذا أننا حين نبحث عن تاريخ أمة من الأمم أو عصر من العصور فإننا منذ البداية نحاول أن نتلمس طريقا للمصادر التلقائية غير المباشرة لكي نستقي منها المعلومات الأصيلة التي لا تدخل فيها الأهواء ولا العواطف ، لأنها جاءت عفوية دون أن يقصد بها أصحابها خدمة التاريخ في المستقبل . وقد تكون تلك المصادر ، على سبيل المثال ، الملابس التي كانوا يرتدونها أو الأدوات اليومية التي كانوا يستعملونها أو ما شابه ذلك . فحين نعثر في احدى الحفريات على أمثال تلك الأشياء ونتوصل إلى تاريخها بطريقة مـا ، فاننا نصل إلى حقيقة تاريخية أصيلة لا يمكن الطعن فيها ولا التجريح . ولهذا فإن المصدر سوف تكون اصالته نهائية .

على أن المصادر التاريخية ليست مصادر تلقائية عفوية في جميع الحالات ، فقد نعثر على نقوش معينة وكتابات حجرية قصد بها أن تحمل تلك الذكرى عبر العصور ، وان تخلف ذلك الأثر حتى لا يضيع ، وان تبقى ذكرى قوية لن تمحى . وفي هذه الحالة فإننا نعتبر ذلك الأثر مصدرا تاريخيا مباشرا وأثرا حقيقيا قصد به خدمة التاريخ في المستقبل أو الأمم القادمة ، فعلينا إذا كمؤرخين أن نطيل النظر إلى تلك النقوش على أنها مشاكل تحتاج إلى حلول وعلى أنها مصادر تستلزم التأكد من اصالتها . فلا بد حينذاك من القاء الضوء عليها من ناحيتين : الأولى وهي عملية النقد الخارجي لهذا الأثر حيث ندرس فيه المادة المكتوبة عليها وهل هي جيرية أم حجرية ، وما نوع المادة وحجمها ودرجة قدمها ومدى تعرضها للعوامل الزمنية ، وهل أثر ذلك في مادتها ، وما هو تقدير ذلك الأثر لمعرفة السنين التي مرت عليها . ومن خلال هذه التساؤلات والتحريات نستطيع أن نقترب قليلا من العصر الذي تعود اليه تلك النقوش . كما أننا نحاول أن نتعرف على طريقة الكتابة والمادة المكتوبة بها ، وهل هي محفورة أو بارزة . ثم نتعرض لطريقة الحروف ونموذج الكتابة ونحاول تطبيقه على تطور الحروف خلال العصور حتى نصل إلى معرفة أي العصور استخدمت فيها هـذه الحروف وذلك بمقارنتها بسطور الحروف الأبجدية خلال العصور المختلفة .

أما الناحية الثانية فهي عملية النقـد الداخلي ، ويراد بها القاء الضوء على المادة المكتوبة — ما هي ، ولماذا وكيف ؟ فمن سبيل هذا الاستقصاء نستطيع أن نتحقق من التاريخ والخبر الذي جاء في النقش ، ونقارن بينهما بدراسة تاريخية مستمدة من المصادر القلمية الأساسية حتى نصل إلى حقيقة النقش الذي عثرنا عليه ونتأكد من مدى اصالته . وقد يعتقد البعض أن هذه المقارنات التاريخية سهلة ويسيرة غير أنها في الواقع عملية صعبة تحتاج إلى تركيز كبير ودراسة نقدية شكية تستغرق وقتا طويلا ومجهودا ضخما . ولنذكر على سبيل المثال النقش الذي اكتشف في جبل « رم » بالأردن أثناء قيام بعض المستشرقين بالبحث عن النقوش في تلك المنطقة ، وخاصة «هورسفيلد» الذي قام سنة ١٩٣١ بهذه الجولة فاكتشف على رأس جبل رم منطقة أثرية خصبة تبعد ٢٥ كيلومترا شرقي مدينة العقبة . ويرجع تاريخ هذا النقش الى سنة ٣٥٠ م . وقد تعاون العالم الأثري هورسفيلد هذا مع العالم «سابيناك» في وصف تلك النقوش المهمة ، ثم تناول العالم «هيوبرت جريمن» حل رموزها وتعرف إلى تواريخها بالتقريـــب .

على أن تلك الدراسات قد أخذت من العلماء وقتا طويلا بين الجدال والمناقشة حتى تمكنوا من وضع صيغة أقرب إلى الحقيقة الكلية .

ومن هنا نستطيع أن نعرض للمثال الذي أوردناه ، فالنقش عبارة عن كتابتين ، إحداهما عربية والأخرى ثمودية ، إلا أن العربية — كما يبدو من النقش — كتبت قبل الثمودية . والكتابة العربية تقـــول :

١ — وبر عليو كليصي
٢ — بر هبأرل (ك)
٣ — حنيني بر المزتلمه سطعروك (تب)

وان الصعوبة في مثل هذه النقوش تتمثل في تقرير بعض الكلمات التي وردت في النصوص والتي تأخذ وقتا طويلا من الدراسة والتحليل حتى يوضع النص النهائي للنقش بحيث يتلاءم مع المعنى العام له . وربما اجتمع عدد من العلماء وقتا طويلا لمناقشة حرف من كلمة أو كلمة من نص . وهكذا فإن بعض الحقائق تتطلب مجهودا كبيرا في سبيل التحقق من اصالتها .

أما إذا أردنا أن نصف الصعوبة الكبيرة التي يتعرض لها المؤرخون أثناء تحقيق النص تاريخيا فإننا نذكر نقشا لسد وجد في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية وهو أقدم نقش تاريخي مؤرخ في الحجاز ويحمل اسما لخليفة اسلامي .



صخرة أثرية أخرى يرجع عهدها الى ما قبل حوالي ٢٠٠٠ سنة ، اكتشفت في القطيف . وهي شاهد قبر مكتوب عليه بخط عربي قديم يعرف « بالمسند » .

ومكتشف هذا النقش هو كارل تويتشل سنة ١٩٤٥ ، وهو مهندس أمريكي كان يعمل في (مهد الذهب) ، وفي أثناء احدى جولاته باحثا عن المصادر المعدنية تمكن من العثور على هذا النقش على مسافة تقرب من ٣٢ كيلومترا شرقي مدينة الطائف حيث عثر على خزان يتراوح ارتفاعه بين ٢٥ و ٣٠ قدما فوق سطح الأرض ، مبني بكتل صخرية كبيرة ، وهو مؤرخ بسنة ٥٨ هجرية .

وكتابته جاءت على النحو التالي :

١ ــ هذا السد لعبد الله معويه
٢ ــ امير المؤمنين بنيه عبد الله بن صخر
٣ ــ بإذن الله لسنة ثمان وخمسين
٤ ــ للهم اغفر لعبد الله معويه
٥ ــ مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع
٦ ــ المؤمنين به وكتب عمر به حباب

إلا أن الإختلاف التاريخي الذي لازم هذا النقش في تحقيقه كان يدور حول الأشخاص الذين ذكروا فيه وحول الدراسة التاريخية المقارنة في المراجع والمصادر الأخرى . فالأمر الذي لا نستطيع انكاره هو أن الذي أمر ببناء السد هو عبد الله معاوية وهو الخليفة معاوية الذي تولى الخلافة في تلك الحقبة حتى وفاته سنة ٦٠ هـ ، ولهذا فإن تاريخ النقش لا يتعارض مع وجود معاوية كخليفة للمسلمين . أما (عبد الله) فهي كنيته التي كانت تلازم الكتابات التي تصدر عنه أيضا .

أن المشكلة التي يمكن لنا أن نبرزها في هذا النقش لتحقيقه تاريخيا ، هو الجدل حول باني هذا السد وهو (عبد الله ابن صخر) فمن هو ابن صخر هذا ؟ لقد اختلفت مصادر التاريخ حوله ، فمنهم من قال بأنه شقيق معاوية ــ إذ كانوا يسمون أبا سفيان صخرا ــ ومنهم من قال بأنه عبد الله بن صخر القرشي ، ولكن عصر هذا كان متأخرا . ويذهب البعض إلى أنه أبو هريرة الراوية المشهور . ولكن الاعتراضات على هذا الرأي كثيرة . إلا أن احتمالا رابعا قد بقي ، وهو عبد الله بن صخر الذي صاحب موسى بن نصير في فتوحاته . غير أن أحدا من هؤلاء لا تنطبق سيرته على ما ذكر في النقش بحيث نستطيع الجزم بأنه هو الشخص المنشود . أما غير هؤلاء فلم تذكر المصادر العربية عن عبد الله صخر شيئا آخر .

وهكذا فإن الأمر قد بقي معلقا تجاه هذه المسألة أو هذه القضية وهو التحقيق الوافي عن شخصية هذا الرجل ومن يكون ؟ وربما يستطيع التاريخ أن يجد في صفحاته المطوية في المخطوطات شيئا عن هذا الرجل .

وخلاصة القول أن الوصول إلى الحقائق التاريخية من خلال النقوش يمثل صعوبة جمة تحتاج إلى عديد من العمليات النقدية ، وتستلزم الاستعانة بكثير من العلوم المساعدة للدراسات التاريخية . وبعد ذلك نستطيع أن نستخلص منها حقائق ثابتة تشارك في كتابة التاريخ .



جبل « رم » من الأماكن الأثرية في الأردن . وقد عثر فيه على نقش يرجع تاريخه الى سنة ٣٥٠م .



صفاء النفس

للشاعر محمد ابراهيم جدع

الحب في الانسان يرفعه إلى دنيا السرور
وتفيض منه روائع الأنس المحبب والنضير
ويرى الحياة ببشرها ويرى مجالات الحبور
ويرى النفوس اخوّة تبنى وتصنع في الدهور
وهنا المعالي مشرقات القصد في حلم مثير

* * *

والبغض يدفع للكآبة ما شكوت من الأمور
ويريك هذا الكون سجنا في الأصيل وفي البكور
وتظن شرا بالوجود بما حملت من النفور
لا بل خلقت لكي تمتع بالمحاسن في الشعور
وجمال هذا الكون في دنيا المحبة والسرور
وبهمسة الأحلام تسبح في الخواطر والصدور
وكأن هذا الحسن ينسيك المتاعب والشرور

* * *

فابسم لهذا الكون لا تنظر بمنظار صغير
وانعم بكل مظاهر جاءت مع الكون الكبير
واسعد فإن السعد آمال وأحلام تنير
وامرح بحبك في الحياة تنل بها الخير الكثير

* * *

فالأرض أرحب للنفوس وان تعقدت الأمور
فيها المفاتن ما تأملت المباهج في حبور
فيها صفاء النفس للفن الأصيل مدى العصور
فيها انطلاق النفس من هم ثقيل مستطير

تربية وعلم نفس

مفهوم السعادة الزوجية

بقلم السيدة زينب راشد

لاشك ان في الزواج تضحية من الطرفين وانكار للذات من الزوجين ، وكل معنى للحياة الزوجية يخرج عن هذا المفهوم وهذه المقاييس لا يؤدي إلى السعادة بأي حال من الأحوال . هذه السعادة التي يتطلع اليها كل فرد مع شريك حياته حتى يجني ثمار الحب والحياة الرغيدة ، ويصبح بيته عشا هادئا هانئا ينشأ فيه الصغار في جو من الألفة والمحبة والمودة والاخاء .

قرأت ذات مرة قضية امرأة وصفها المؤلف بأنها أوضع امرأة في العالم لأنانيتها .

عاشت هذه المرأة طوال حياتها لتجمع ما استطاعت من مال ، وقد كانت جميلة شغف بها كثير من الرجال ، لكنها رفضت أن تتزوج أحدا إلا إذا كان غنيا وأن يهبها أمواله ، فكان نصيبها الأول رجلا قد جاوز الثمانين من عمره . وبناء على شرطها فقد أهداها كل ممتلكاته ، وبعد عام أو عامين مات هذا الزوج وبعدها تزوجت عجوزا آخر وهو بدوره قد أهداها كل ممتلكاته ومات بعد الزواج بقليل . حينئذ فكرت هذه أن تتزوج من شاب فاختارته من رجال الأعمال . ونقل هذاالرجل ايضاثروته باسم الزوجةالشابة ، وتحقيقا لوعده فقد كتب باسمها كل رأس ماله في البورصة ، وقد أنجبت منه ابنـا . . .

وحدث ذات يوم أن حلت بهذا الشاب كارثة مالية بالغة بحيث أنه لم يستطع أن يسدد ما هو مطلوب منه فالتجأ إلى زوجته لتسلفه ، فأبت عليه ذلك . ورفضت طلبه بصراحة وتركت سمعة زوجها التجارية تنهار في سوق الأسهم المالية ، والسمعة الضائعة عادة نادرا ما تسترد . ولذلك فقد أفلس هذا الشاب ومات قهرا بسبب افلاسه .

ولم يبق لها في هذا العالم غير ابنها الطفل الذي كبر فعلمته ثم حصلت له على عمل في الجيش . وذات يوم قالت له أنها ليست مستعدة لاعطائه أي مبلغ من المال وأن والده لم يترك لها مالا . والغريب ان هذه المرأة الأنانية جردت ثلاثة أزواج من كل ثرواتهم وحرمت ابنها من الانتفاع بمالها طول حياتها . . ولكن ابنها هذا الذي حرمته من ملايينها طوال حياتها كان هو الوارث الوحيد لها ، فتسلم ثروتها وعاش حياة ناعمة بعدها .

ان هؤلاء الذين يحبون المال لا يدركون انهم لا يستطيعون حمله إلى القبر بينما هم بسلوكهم هذا كثيرا ما يغرسون الكراهية في قلوب الغـيـر .

فعلى المرأة في مجتمعنا ، إلى جانب نكران الذات أن تحرص على سمعة زوجها ، وأن تعمل جاهدة على الحفاظ عليها لأن أي شيء يشينها يهوي بمركز الأسرة الى الحضيض . ويجب أن تعلم المرأة أن الرجل ليس انسانا كامل الصفات ، خاليا من العيوب ، والنقائص ، فإن الكمال لله وحده . . فلتنس دائما الإساءة ولتتعلم التسامح والصفح لأن التسامح والصفح يؤديان إلى صفاء القلوب ونقاوة النفوس وارتباطها برباط قوي متين وعروة وثقى لا تنفصم . فالمرأة اللبقة هي التي لا تحقد على زوجها إذا أساء ، انما تعاتبه عتابا يسيرا وفي الوقت المناسب ، لأن مشكلات الحياة كثيرا ما تسبب له الضيق وهو معرض لها في سبيل مسؤوليته عن كيان الأسرة ، وبقائها واستمرار وجودها . وان أمقت ما يكرهه الرجل في الزوجة أن تكون كثيرة الثرثرة تجادل بالباطل ، ولا تعترف بالحق ، مهما كان واضحا كوجه النهار . وان مما يحبه الرجل في زوجته أن تكون مدبرة مقتصدة فـإن الأزواج ينفرون من الزوجة المسرفة التي لا ترعى لزوجها ماله ولا تقدر جهوده ، ولا تحافظ على بيته . لأن الإسراف قد يدعو الى الإستدانة ، والدين ذل بالنهار وهم بالليل وقد يؤدي الى تقويض دعائم الأسرة ، وتحطيم كيانها .

والزوجة المدبرة هي التي تدخر القرش الأبيض لليوم الأسود ، فلا تنفق إلا في حدود ميزانيـة زوجها ولا تشتري الأشياء الباهظة الثمن مقلدة بذلك من هن أكثر منها ثراء ، لأن التقليد الأعمى يجر إلى أسوأ النتائج وأردأ العواقب . .

والمرأة الحريصة هي من تجعل بيتها جنة حتى لا يفر منه الزوج إلى المقهى أو إلى أي مكان آخر . وإذا حدث أن خرج لقضاء بعض شؤونه فلا تظهر الإستياء ، وعليهـا أن تشغل وقتها لعمل نافع أو هواية ، وعند عودته تلقاه باشة هادئة وتقدم لـه ما يشتهيه من طعام أو شراب .

والزوجة الحصيفة هي التي تتجاوب مع رغبات زوجها وميوله فلا تعترض على قراءته الكتب والصحف مثلا . فالقراءة ضرورة من ضروريات الحياة . وهي والحالة هذه ان لم تستطع مشاركته لا تنغص عليه أوقاته وتفسح له متسعا للمزيد من المعرفة والتقدم .

والرجوع الى الحق فضيلة . وما أجمل الاعتذار عن خطأ وما أقبح الاصرار عليه . فالاعتذار من الأمور الداعية الى استمرار الحياة الزوجية في صورة كريمة ثابتة الدعائم . وهناك قصص كثيرة كان فيها الإصرار على الخطأ محور رحى الخلاف والاعتذار رسول سلام ووئام . وتحضرني الآن القصة التالية كمثال على فعل الاعتذار في نفوس الرجال .

تزوج شاب فتاة جميلة فأحبها حبا جما ثم توفيت بعد سنتين من زواجهما ، فشعر لفقدانها بالغم والحزن بشكل عظيم ، ورفض عروض الزواج لمدة طويلة . وأخيرا قبل الاقتران بفتاة من أسرة كريمة ، لكنها كانت عارية من الجمال بالمقارنة إلى زوجته الأولى حتى سماها بعض الناس «دميمة» . ولم تكن دميمة حقا لكنها بالمقارنة الى زوجته الأولى يمكن أن تدعى عارية من الجمال ، وقد توقعت بأنها ربما ستفشل في أن تستأثر بقلب زوجها ، لكن الأيام أثبتت عكس ذلك .

كانت مرة جالسة مع زوج هـذه الفتاة عندما قال لي إن الناس يعطفون عليه حيث أنه فقد زوجته الأولى الجميلة وتزوج من فتاة دميمة نسبيا ، لكنه صرح بأنه سعيد جدا بزواجه الأخير لأن هذه الزوجة الثانية قد جعلت حياته أكثر سعادة وأحلى طعما . وصفتها المميزة العظيمة هي أنها لا تغضبه مطلقا . فسألته : « ألا تتخاصمان البتة فأنتما بشر قبل كل شيء ؟ » فصمت بعض الوقت ثم قال : « لا شك في ذلك ، ولكن تصرف زوجتي الحكيم باعتذارها سواء أكانت مخطئة أم مصيبة يزيل الشوائب من مجرى حياتنا ويعيد المياه إلى مجاريها ، فكثيرا ما كنت أعود إلى البيت فأجد دائما على مكتبي رسالتها تعبر عن اعتذارها . وبتصرفها الطيب هذا تجعلني أشعر بأسف شديد على تصرفي . وكانت نتيجة موقفها هذا أنه لم تعد هناك مشاجرات في الأسرة . . »

هذا مثال حي لسلوك زوجة حكيمة بنت بتصرفها بيتا سعيدا لها ولزوجها وضربت بذلك مثلا رائعا للأخريات . فكثير من الأسر تنهار بسبب تشبث الزوج اوالزوجة أو كليهما برأيه بعد منازعتهما ورفضهما باصرار معرفة دورهما في النزاع .

وقد صادفتني حالة كهذه وهي كما يلي :

حدث أن امرأة جميلة تزوجت أرملا . وكان موقفها من زوجها موقف المتعاظم المتعجرف . وحدث مرة أن تشاجرت معه فزجرها بعنف مما جعلها تفر من بيتها وتلجأ إلى بيتي كصديقة قديمة لها ، ففتحت لها قلبي . وبعد سماع قصتها سألتها ان كانت تستطيع معرفة دورها في المشاجرة ، فصمتت بعض الوقت وحينئذ لاحت لها الحقيقة فقالت : « اني آسفة لأني لم أقل له انني أنا المخطئة » . فسألتها : « هل ترين الآن أنك كنت على خطأ ؟ » . قالت : « في حالتي الحالية الهادئة أرى أني زدت من حـدة النزاع » .

حينئذ قلت لها : « هل تستطيعين أن تعبري عن مثل هذه المشاعر لزوجك » ؟ .

قالت : « أهل أنت متأكدة بأنه سيرضى » ؟.

قلت : « نعم » .

قالت : « اذن اني ذاهبة » .

وبالفعل نفذت وعدها . . وقد قابلتها بعد ذلك بأربعة أو خمسة أيام وسألتها عن حالها ، فأخبرتني بأن مشورتي فعلت في زوجها ما توقعت وباعتذارها له زرعت في قلبه حبا لا يضاهى واخلاصا لا يوصف .



هل من جديد؟

مبضع ماسي لجراحة العين

جراحة العين كانت وما زالت تعتبر من أخطر العمليات الجراحية التي يجابهها الجراحون . غير أن تطور العلم والاختراع يسّر لأطباء العيون اليوم أجهزة وأدوات دقيقة غدت خير معوان لهم في التحكم في أجزاء العين الداخلية وخلاياها العصبية الحساسة ، واستطاعوا بفضلها أن يعيدوا البصر لأناس كان بينهم وبين فقدان نظرهم قاب قوسين أو أدنـى .

ومن بين هذه الأدوات الحديثة التي توصل العلماء إلى ابتكارها مؤخرا مبضع مصنوع من الماس ذو طرف غاية في الحدة ، سيسهل على أطباء جراحة العيون مهمة القيام بعملية اعتام عدسة العين ونقل القرنية .

ويعتبر هذا المبضع الـذي قام بتصميمه الدكتور «دافيز درهام» حدثا مهما في طب العيون . ويبلغ سمك طرفه القاطع نحو ١٠٠ وحدة «انجستروم» ، بينما يبلغ عرض كرية واحدة من كريات الدم الحمراء ٨٠٠٠٠ وحدة انجستروم . (وحدة الانجستروم تعادل جزءمن عشرة بلايين جزء من المتر) . ومن ميزات هذاالمبضع الماسي الفائق الحدة ، أنه من الدقة بحيث يتسنى للطبيب الجراح أن يقطع به شعرة لا يتعدى طولها ١٥ مليمترا إلى حوالي مليـون قطعة . وعلى الرغم من هذه الميزات والحسنات التي يتسم بها هذا المبضع الحاد ، إلا أن طريقة استخدامه تستدعي عناية بالغة للغاية .

هذا ، وقد ابتكر الدكتور «دافيز درهام» بالإضافة إلى المبضع الآنف الذكر ، حلقة مفرغة تساعد الطبيب الجراح على تثبيت العين وتركيز المشرط تركيزا صحيحا خلال قيامه بعملية نقل القرنية وزرعها .



جهاز صفير لمقاومة الشخير

الشخير ، من المعضلات التي جابهها رجال العلم وشحذت جهدهم ردحا من الزمن. بيد أن هذه الجهود والأبحاث التي قام بها هؤلاء حيال هذه المعضلة ، قد أثمرت مؤخرا في جهاز صغير حساس توصل إلى ابتكاره عالم بريطاني ، وهو عبارة عن طابة صغيرة يعلقها المرء المصاب بالشخير حول ظهره أثناء النوم .

وفي حال حدوث الشخير ، وهو غالبا ما يحدث عند النوم على الظهر ، ينطلق من الجهاز صفير ينذر النائم بتعديل وضع نومه على أحد الجانبين . وهكذا يظل الجهاز يطلق صفيره إلى أن يتعود المرء النوم على أحد جانبيه بدلا من النوم على ظهره .

صناعة الغزل والنسيج

من مغزل بسيط عادي ونول يدوي منزلي ، تطـور الغزل والنسيج إلى صناعة آليـة ضخمـة ،تنتـج كمية لا حصر لهـا من المنتجات الضرورية لحياتنا اليوميـة .



الهواء والماء والغذاء مقومات ثلاثة هي عماد الحياة . غير أن الجنس البشري يحتاج بالإضافة إليها إلى عامل رابع مهم ، وان كان أقل أهمية منها ، ألا وهو الثيـاب .

فالثياب ترافق الانسان منذ ساعة مولده حتى الساعة التي يفارق فيها الحياة . وخلال فترة انتقاله من المهد إلى اللحد ، يستهلك أنواعا كثيرة من الثياب . . فهناك الثياب التي يلبسها في الأعياد وفي الاحتفالات الخاصة وفي ممارسته مختلف الأعمال ، وهنالك الثياب الخاصة بفترات الصبح وبعد الظهر والمساء ، والخاصة بالقرية والمدينة والألعاب الرياضية والحفلات الشعبية . وجميع هذه الثياب تختلف في أشكالها وأنماطها باختلاف المناسبة المعدة لها .

فلا عجب إذا ، أن تمثل الثياب أكبر جزء من صناعة النسيج في العالم ، ولكن صناعة الثياب مهما اتسعت وتضخمت تظل تعتبر جزءا من صناعة النسيج العامة ، إذ أن هذه الصناعة تشمل قائمة لا تحصى من المنتجات الأخرى كالستائر ، والشراشف ، وأغطيـة الطاولات والخيام والمشمعات ، والفرش والسجاد وخلاف ذلك .

قديمة .. قدم الانسان !

ان استخدام النبات ووبر الحيوانات للغزل والنسيج أقدم من التاريخ . فالقطن والحرير والكتان والصوف ، والمنسوجات المتعددة الأشكال والألوان منها ، تبين ولا شك مدى الشهرة التي تمتعت بها صناعة الغزل والنسيج منذ الأيام الأولى حتى القرن التاسع عشر .

فالأنسجة القطنية وبقايا لوزات القطن التي عثر عليها في «وادي تيهوكان» بالمكسيك بينت بعد فحصها «بالكربون — ١٤» انها تعود إلى ٧٠٠٠ سنة خلت . كذلك بينت أن نسيج القطن كان معروفا منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد في المنطقة التي تعرف اليوم باسم باكستان ، وقد أثبت ذلك ، العثور على أنسجة وخيوط قطنية في حفريات وادي الهندوس في «ماهنجو دارو» . كذلك عثر على أنسجة قطنية يعـود تاريخها إلى ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، في مدن «برينكا بيرو» المطمورة .

أما الأنسجة الحريرية الرقيقة المصنوعة من الحرير الطبيعي الذي تنتجه دودة القز ، فتكاد

تكون قديمة قدم صناعة القطن . فقد حازت الأقمشة المنسوجة من هذه الخيوط اللماعة على اعجاب النبلاء والأثرياء في العالم أجمع منذ أقدم العصور . ولما كانت الصين ، منذ البداية ، تستأثر بهذه الصناعة ، كان لا بد من وصول الأقمشة الحريرية من الشرق إلى الغرب ، فنشأت نتيجة لذلك الطريق المعروفة باسم «طريق الحرير» وهي الطريق التي تمتد من «شنجان» مركز صناعة الحرير في الصين عبر الصحاري الواسعة والجبال الشاهقة ، إلى الشواطيء الشرقية من البحر الأبيض المتوسط . وقد كانت هذه الطريق ، الطريق التجارية الوحيدة ، بل رابطة الاتصال الثقافي الوحيدة بين الشرق والغرب منذ مدة طويلة قبل الميلاد حتى القرن السادس عشر الميلادي حيث تم اكتشاف الطرق البحرية . كذلك تم العثور على أقمشة صوفية وكتانية في مقابر مصر ونينوى وبابل ، وفي أكواخ سكان البحيرة وقبورهم في بريطانيا فيما قبل العهد الروماني .

الحياكة .. واجب منزلي

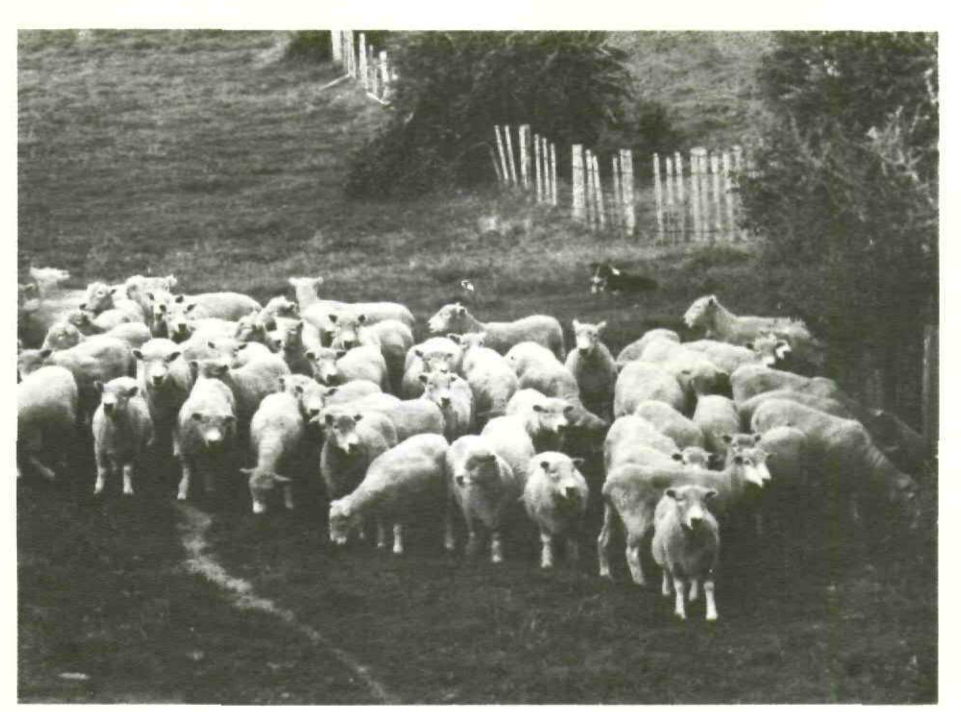
في كل بقعة مسكونة من الكرة الأرضية ، تجد أن الصوف والقطن ، وعلى نطاق أضيق الكتان والحرير ، هي الخامات الوحيدة المستخدمة في صناعة الأقمشة منذ العصر القديم حتى العصر الحديث حيث تم اكتشاف الخامات الصناعية الجديدة . وكان الغزل والنسيج ، عبر الأجيال ، من الواجبات المنزلية الأساسية ، وكان المغزل شعار المرأة ومدعاة فخرها بين رفيقاتها في كل مكان . أما أنوال الحياكة فكانت بسيطة التصميم وتصنع باليد من الخشب .

بيد أن معظم الاختراعات التي حولت الغزل والنسيج من عمل منزلي بسيط إلى صناعة حيوية قائمة بذاتها ، قد تمت في انكلترا خلال القرن الثامن عشر . فالمكوك المتحرك الذي اخترعه «جون كاي» ، ودولاب الغزل الذي صنعه «جايمس هاركريفز» ، وطريقة الغزل الرحوية التي توصل اليها «آرك رايت» ، والمغزل الآلي الذي ابتدعه «كرومبتون» ، والنول الآلي الذي صنعه أخيرا «كارت رايت» كل هذه الاختراعات كانت السبب في تطور عمليتي الغزل والنسيج وتحولهما إلى صناعة حية .

وأول من استطاع انتاج الحرير الاصطناعي بكميات تجارية هو «كاردونيت الفرنسي»



صنع الثياب ، يعتبر من أقدم الأعمال التي عرفها الانسان ، ولكن عمليتي الغزل والنسيج المجهدتين استغرقتا وقتا طويلا قبل أن تتحولا الى صناعة آلية من أكبر الصناعات العالمية .



يكثر الطلب في الأسواق على الأقمشة الصوفية التي تقي الانسان برودة الشتاء ، والتي تعتبر الأغنام أكبر مصدر لخاماتها .

وذلك في عام ١٨٨٩ م ، وقد استخرج ألياف الحرير من لب الخشب وبزر القطن . ثم ما لبثت أن تطورت صناعة الحرير الاصطناعي على مر السنين وظهرت نتيجة لذلك أنواع جديدة من الحرير أكثر رونقا وجاذبية ، مثل «حرير فيسكوس» . ثم ظهرت بعدئذ أنواع جديدة من الحرير الاصطناعي ، من خامات مغايرة للخامات الأولى . هـــذا الحرير هو «حرير الاستيك» الذي تم صنعه من السليلوز ، والذي حاز على شهرة واسعة في الأسواق ، واستحوذ على اعجاب الناس في كل مكان . ولكـــن على الرغم من جميع التطورات المتوالية التي أدخلت على الحرير الاصطناعي في الربع القرن المنصرم، ظلت خامات الحرير الاصطناعي تشكل فقط نصف ما ينتجه العالم من الخامات الاصطناعية . فقد ظهر في الميدان خامات صناعية جديدة هي «النيلون» . هذه الخامة المشتقة من البترول والتي أسرت أقمشتها ألباب العالم أجمع أكثر من أي أقمشة أخرى ، وقد استغرق أمر التوصل اليها مدة احدى عشرة سنة من البحث والدراسة المتواصلة صرف أثناءها مبلغ ٢٧ مليون دولار . أما اليوم فقد أصبحت معامل الأقمشة تنتج أكثر من ألف نوع من «النيلون» . وقد أدخل «النيلون» في صناعة مختلف أنواع الملبوسات ، من الأقمشة النسائية الرقيقة ، إلى الأقمشة السميكة كالقلوع والخيام . وبما أن النيلون هو نوع من اللدائن لذلك أمكن استخدامه في صنع الفراشي والأمشاط حتى وفي صنع قطع معينة للسيارات . والنيلون مادة قاسية لا تنكمش ، سريعة الجفاف ، عديمة التعفن ، متينة بحيث أن الخيطان المصنوعة منها أمتن من خيطان الحديد الصلب ذات الوزن نفسه .

أقمشة من غازات البترول !

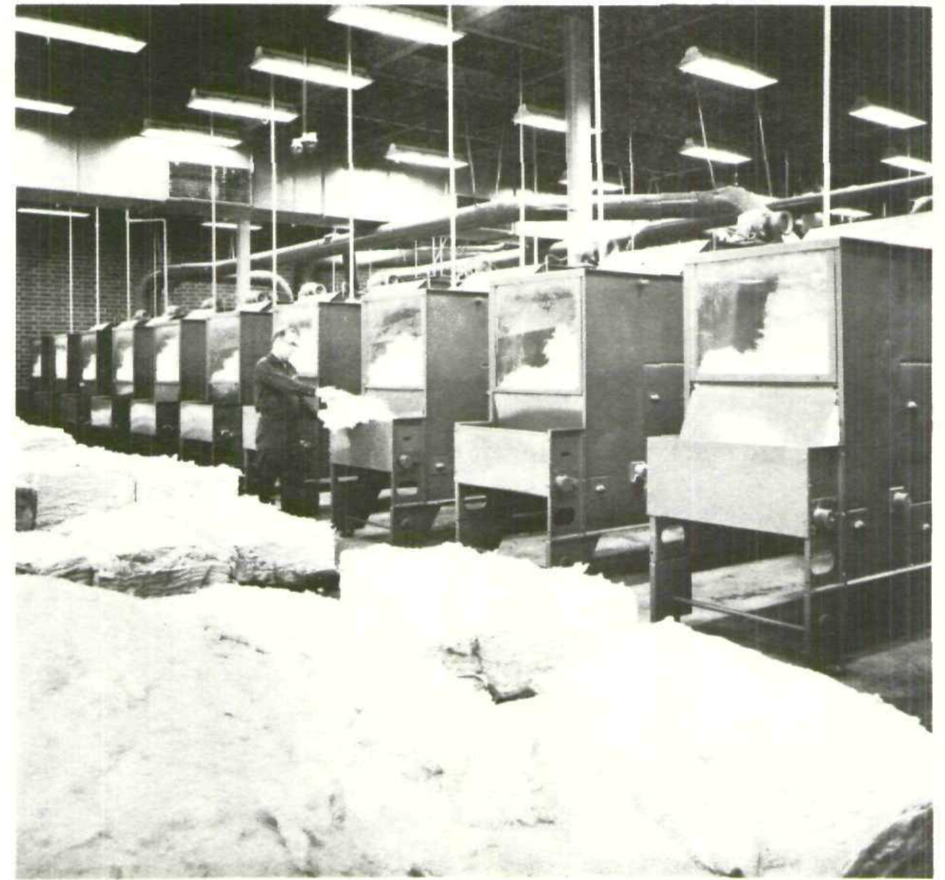
وفي مستهل العقد الخامس من القرن الحالي، توصلت الأبحاث المستمرة إلى صنع «الدكرون» و «الأورلون» ، التي هي والنيلون مركبات من الأوكسجين والنيتروجين والكربون والهيدروجين. وتستحصل مصانع الأقمشة على المادتين الأخيرتين من الغازات البترولية التي تنتجها معامل التكرير. هذه التطورات كانت حافزا على ازدهار الصناعة البتروكيماوية ، التي تنتج بالاضافة إلى الأقمشة الصناعية عددا ضخما من المنتجات الأخرى تتدرج من مواد الصيدلة واللدائن حتى تصل إلى المنظفات والمطاط الصناعي . إن معظم معامل التكرير الحديثة تأخذ بعين الاعتبار أمر الاستفادة من البتروكيماويات ، فهي بالإضافة إلى انتاج الوقود وزيوت التشحيم ، تنتج أنواعا مختلفة من الخامات البتروكيماوية ، وترسلها رأسا عبر الأنابيب إلى المعامل المختصة .

إن مزج الألياف البتروكيماوية مع القطن والصوف والكتان بنسب معينة مناسبة يكسب الأقمشة التي تصنع منها ، جودة وجمالا . فالأقمشة الكتانية تصبح أكثر نعومة ، والأقمشة القطنية تمسي بغير حاجة إلى الكي ، والأقمشة الصوفية التي يدخلها «الدكرون» ، تظل مكوية مدة أطول من المدة التي تظلها الأقمشة المصنوعة من الصوف الخالص .

ازدياد هائل في الطلب ..

هنالك حوالي ٣ بلايين شخص يرتدون الثياب في العالم ، ويتوقع أن يتضاعف هذا العدد في نهاية القرن الحالي ، كما أن اقبال العالم على الرياضة والنشاطات الاجتماعية الأخرى قد عمل على ازدياد الطلب على الأقمشة والألبسة بعد أن أصبح لكل من هذه النشاطات لباس خاص .

وتمشيا مع الازدياد في الطلب على الأقمشة ، بعد مضي مدة من الفتور والجمود ، نجد أن معظم مصانع الغزل والنسيج أصبحت ذات طاقات انتاجية مدهشة . فأنوال الحياكة أصبحت أوسع وأسرع ، ووشيعة الحياكة أصبحت مزدوجة وأكثر سرعة خلال السنوات الخمس الأخيرة . كذلك المعامل نفسها أصبحت أكثر شمولا ، وآلاتها أكثر ضخامة . وعلاوة على ذلك ، أصبحت تستعمل الآلات الحاسبة في احصاء الانتاج ، وفي اجراء الجرد على البضائع ، حتى وفي مراقبة مزج الأصباغ .



استخدام القطن في صناعة الأقمشة معروف منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة تقريبا .

باذن خاص عن مجلة «اويل بروجرس»



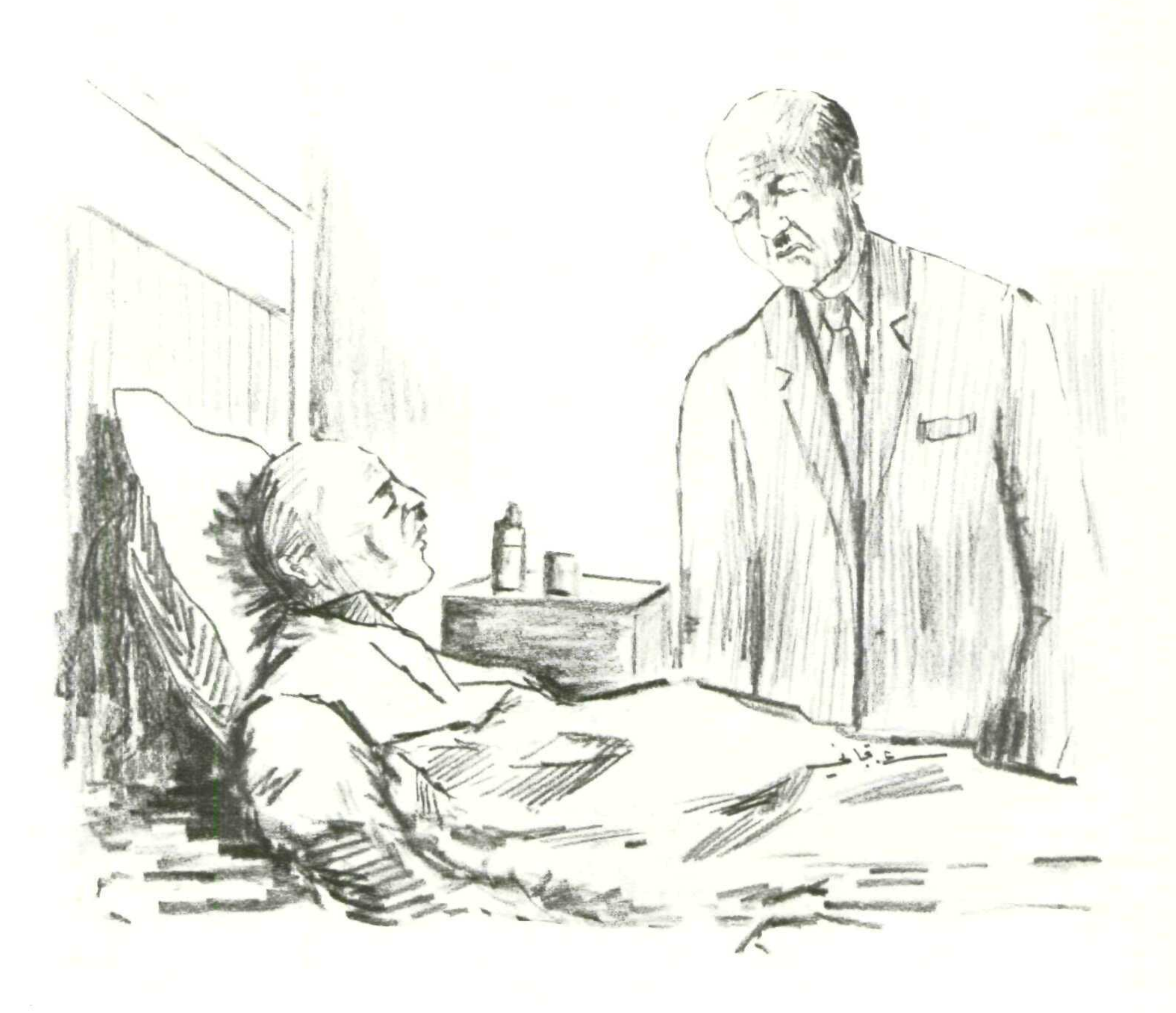
على الرغم من تقدم الصناعة الآلية ، الا انه بقي للاشغال اليدوية الدقيقة قيمتها واعتبارها .

تصوير « ألن مولاش »

قصة قصيرة

أمنية لم تتحقق

بقلم محمد احمد الزغاري



خرجت فاطمة من المستشفى تحمل على يديها وليدا كالبدر تحف بـه القلوب ، وتدمع لمرآه العيون . وما رآه أحد إلا سر به وحزن عليه ، وما كانت أمه وظروفها سببا في تعميق ذلك الحـزن .

كان أكثرهم كلفا به واشفاقا عليه جده سعيد أبو فاطمة الذي كان كلما خلا بنفسه تذكـر كلمات صهره أحمد (لن يبزغ الهلال حتى يغيب القمر) ، فيتلفت يمنة ويسرة ليتحقق من غياب ذلك القمر ويسكب قطرات من الدموع الحارة الصامتة تترجمها فاطمة إلى صراخ عـال ينتهرها أبوها لذلك ويطلب منها الانصراف الى ولدها «أيمن» والقيام على شئونه .

وهل تقول أيمن يـا أبتاه ؟ أي يمن رأيناه على قدومــه ؟

كانت تود لو غيرت اسمه ، ولكن مانعـا واحدا منعها من ذلك هو أن هذا الاسم كان قد اختاره أبوه من قبل أن يولد أيمن بل قبل أن تحمل به أمه بسنوات ، فهي بذلك تحفظ عهدا بينها وبين أحمد وتجدد ذكرى غالية يعز عليهـا تجديدهـا .

يذكر الناس أن أول مرة تردد هذا الاسم على لسان أحمد كان أمام أمه وهي على فراش المرض حين أظهرت تخوفا على مصيره ومصير أولاده من بعده قال لها مطمئنا : سيكون ابنك يا أماه مـن أغنى أغنياء هذه المدينة وولده أيمن الوارث الكبير من بعدي ان شاء الله .

ابتسمت له امه حين سمعت قوله ولم تشك بكلمة من كلامه مع أنه لم يكن يملك يومهـا سوى بضعة دريهمات يسد بها رمقه ورمق امه العجوز ، وتوفيت أمه بعد ذلك ونسي الناس أو تناسوا أمره فهم في شغل عن أمثاله أو أنهم لم يجدوا فيه كلاما يقال ، فلم يستحسنوا عمـلا فيمدحوا أو يستهجنوا خلقا فيذموا وما الناس إلا بين مادح وذام . ومن يدري فربما كان فيه ما يستوجب المدح ولكن لا لأمثاله من الفقراء والمعوزيـن .

وفاق الناس بعد ذلك ليروا أحمد قد بدأ يحقق شيئا من آماله العريضة ويفي ببعض ما كان قد قطعه على نفسه أمام أمه فها هو متجر صغير يتبعه متجر آخر ، وأموال تتكاثر .

وأخيراً وبعد طول انتظار تحقق مـا كان يأملـه أحمد ، وتـذوق أحمد السعـادة كأحلى ما تمناها صافية من كل كدر خالصة من كل شائبة ولم يعرف أسعد من ذلك اليوم الذي رجع فيه إلى البيت مساء وعرف أن زوجته حامل وفي شهرها الثاني ، بمولودها الأول . . والأخـير .

وتلألأت دمعة على خده . . دمعة الفرح لهذه البشرى التي تأخرت عن وقتها ثلاثين عاما وهو ينتظر الحدث السعيد .

ثلاثون عاما رآها أطول من عمر البشرية جميعها ذاق خلالها اللوعة واللهفة والظمأ الروحي ، وكان أكثر ما يؤلمه أن يرى أبناء جيله وقد أصبح لكثير منهم أحفاد يملأون عليهم حياتهم ويبعثون السعادة في نفوسهم . فالطريق التي كان يسيرها منفردا إلى البيت لا يزال يسيرها ، وكان أكثر مناه أن يرافقه ابن يحدثه أو يستمع له ، أو أن يراه وقد عاد إلى البيت من المدرسة بصحبة زملائه فيذاكرون ويدرسون . وإذا فرغوا من الدراسة خرجوا إلى ساحة المنزل يلعبون وهو يراقبهم عن كثب مسرورا بهـم .

كان ذلك يدور في رأسه وهو راجع الى البيت وحيدا كعادته ، فما أن يبدأ بالسير حتى تبدأ تلك الأوهام والتمنيات كأنه معها على موعد لا تخلفه . كم تمنى أن يرافقه ابن في طريقه تلك .

كم كان يشط به الخيال في أول أيام زواجه فيتخيل نفسه أبا ويشخص من خياله طيف أيمن الصغير ، فيجاذبه الحديث وقد يستفتيه في عشاء تلك الليلة ويترك له الخيار ، وكانت زوجته تجاريه في تخيلاته . أفكار حلوة وتخيلات طريفة لم تلبث أن فترت لشعورهما بعدم جدواها وأصبحـا يذكران أيمن الحبيب المجهول مرة واحدة في اليوم ثم مرة أو مرتين في الأسبوع ثم أصابهما الكلال تماما فنسيا أيمن وكأنه لم يـكن .

لقد كان أحمد قويا طوال تلك المدة ، تغلب على يأسه ، وعلى أولئك الذين حاولوا أن يفسدوا بينه وبين زوجه متهمين اياها بالعقم ، ولكنـه كان ضعيفا أمام الأيام التي عضته بنابها فأفقدته القوة وأصابه الفتور والهبوط في نشاطه واقباله على الحياة واستمرائه لطعمها. ووضع أحمد، الذي بلغ الخمسين من عمره ، يده على جرس الباب ليطرقه وقبـل أن يفتح لهالباب ليلج منه ، امتدت اليه يد من الخلف وجذبته بشدة فأدار برأسه ليرى زوجته ٠٠ قد عاجلها المـوت .

هز كتفيه دون مبالاة وكأنها لم تمت بل ذهبت لترتب لهما بيتا جديدا يجدان فيه ما لم يجداه من قبل ، أو أنها ذهبت لتجدد شبابها . وتذكر في تلك اللحظة قبل أعوام حين طلبت منه فستان العيد فذهب الى الخياط سمير وطلب منه أن يختار له أحسن الثياب وأزهى الألوان ، فأخذ القماش معه مسرورا بأنه وفق الى حسن الاختيار ، وكم كانت دهشته شديدة حينما لم تعجب زوجته بتلك القطعة من القماش وأخبرته بأنها من أردأ القماش لونا وصنفا . فترك لها بعد ذلك حرية اختيار مـا تريده من ثياب . اذن لقد ذهبت لتجدد شبابها أما هو فسيجدد شبابه يوما ما ، وستعود اليه كما عرفها أول مرة فتية جميلة . وجلس ينظر اليها وهو لا يصدق أن هذا هو الفراق الأخير . واستقبل كلمات المعزين بعدم الاكتراث ساخرا من عقليتهم . فهي لم تمت انما لم تنه مهمتها في الحياة، فلماذا تموت الآن. ولكن مثل هذه الأفكار لم تلبث أن زالت تماما كما يتبدد الضباب أمام شمس النهار أو يتشقق سربال الليل تحت وقع أسنة الفجر الساطعة .

وبقي عامه الأولى في هذه الأفكار المتأرجحة يقضي أيامه متحجر البصر شارد اللب كأنما ينظر الى بعيد لا يراه غيره ، نعم الى ما هو أبعد من الحياة ، إلى زوجته التي فارقت الحياة ، والى ولده الذي لم يذق لها طعما .

ولاحظ عليه أصدقاؤه ذلك فعز عليهم مـا وصل اليه وتقدم اليه من كان أحمد يثق برأيهم وأشاروا عليه أن يعاود الكرة لعل أوضاعه تصلح بزواج جديد، ورضخ لهم بعد تردد .

وقصة زواجه غريبة حقا إذ جاءه جاره سعيد يوما فأطال الكلام معبرا عن عظم الفاجعة وعرض عليه الزواج بفاطمة كبرى بناته . فهي ليست صغيرة إذ نيفت على العشرين من عمرها . كان أحمد كثيرا ما جلس يداعبها وهي لم تتخط الخامسة من عمرها ، وكم كان يعجب بشقاوتها وخفـة دمها ، وكم تمناها عروسا لأيمن . أما أن تكون عروسا له فلم يخطر له ببال ، وساءل نفسه متى تحقق ما خطر لي ببال ؟ أخطر لي أن أقضي العمر كشجرة حمقاء لا تثمر ؟ أم خطر لي أن أصاب بثكل الزوج ؟ أستغفر الله، لااعتراض على حكمـه .

كان كلما دخل بيت جاره سعيد وافتقد فاطمة سأل عنها ، فتخرج له من تحت كرسي أو من وراء خزانة أو طاولة وتصرخ به ، فيضحك أحمد وكل من يكون معه . وكبرت الأعوام حولهـا أو كبرت هي بأعوامها فامتد قدها باسقا واكتنزت أنوثة وحيوية ومع ذلك ما زال أحمد يراها كما كان يراها سابقا . وحينما عرض سعيد فكرة زواج

احمد بفاطمة على زوجته استحسنتها وذلك طمعا في ارث أحمد ، فأحبت لابنتها ذلك الزوج ، وقبلت ابنتها ذلك التدبير .

وسارت مراسيم الزواج سريعة إذ كان أحمد قد مل تلك الوحدة القاتلة ، ورأى أن الدنيا قد ابتسمت له فانبسطت أسارير وجهه وارتسمت على محياه امارة الرضا وعلامة الاستبشار .

لقد تحقق حلمه ، ومرت الأيام وضاءة مشرقة وأصبح كل شيء في نظره قد تجدد ، ونسي أنه قد تجاوز الخمسين بسنوات ، وصار يحس بالنشوة نفسها التي أحس بها وهو ابن عشرين في زواجه الأول ، فكان يسير وهو يضرب الأرض بقدميه كأنه يتحدى الأيام حتى كان ذات مساء إذ عاد إلى البيت فوجد زوجته طريحة الفراش تشكو بعض الألم . وهنا هبط قلبه لأنه وجدها قد وقعت في المرض ذاته الذي داهم زوجتـه الأولى وأودى بحياتها . فأخذ يستجمع قواه واستدعى طبيبا في الحال . وما أن فرغ الطبيب من اجراء الكشوفات الطبية اللازمة ، حتى ابتسم له وربت على كتفيه قائلا : مبروك . . ستصبح أبا بعد أشهر ، ودهش لهذا الخبر ، وكاد يقول أنى لي ذلك . فعاجله الطبيب قائلا : انها في شهرها الثاني . فأجهش أحمدبالبكاء .

وزف البشرى إلى أهلها وذويها الذين تتابعوا واحدا تلو الآخر تغمرهم الفرحة والسعادة .

عندها فقط شعرت فاطمة ببهجة الزواج ، واستطاعت بحدث بسيط أن تدخل السرور الى قلب أسرتين ، وشعرت حينها بالزهو إذ رأت أباها وزوجها وأمها وأخوتها كلهم طوع أمرها ، سعداء بهـــا .

وسارت الأيام ثقيلة فيها اللهفة والهلع ، وكم عرض أحمد زوجته على أطباء مشهورين ، للتوصل إلى معرفة حالة الجنين ، فــكانوا جميعاً يطمنوه ويعدوه خـــيراً . وزحفت به الأيام زحفا حتى دخلت فاطمة في شهرها الخامس وعليه أن يصبر أربعة أشهر أخرى .

ونام أحمد في تلك الليلة مع الفجر مخلفا أفكاره ووساوسه تحوم حول وسادته وربمـــا استأنفها في أحلامه ورؤاه . وتسير الأيام بعد ذلك بطيئة حتى كان ينتزعها انتزاعا من مخالب القدر أو كأن عجلة الزمن بها بعض الخلـــل والاضطراب فتدور وتدور وهي ما زالت مكانها كسيارة تقطع فلاة من رمل . وتمنى لو كان له القدرة والقوة ليدفع عجلة الزمن أو يجرها وراءه، ولكن الأيام ما زالت في مكانها حائرة منه ساخرة من أمانيه . ولو قدرت على الكلام لقالت له خير لك أن تستبطيء الأيام من أن تتعجلها .

وكلما اقترب موعد الوضع كلمـــا زاد عطفه وحنانه على فاطمة . وأصبحا يعدان العدة لاستقبال الضيف الجديد . وكان لا يريد أحدا من أصدقائه إلا أن يحدثه عن ابنه المنتظر ، والحدث السعيد . وكثيرا ما كان يرفع سماعة الهاتف ليتصل بأحد أصدقائه ويسأله رأيه في أمور تتعلق بمستقبل أيمـــن .

أما فاطمة فقد كانت فاترة الشعور أو طفلة الأحاسيس طوال أيام حملها . الحمل جميل جدا ، أليس هو الذي جعلها صاحبة الخدم والحشم ومنحها كل هذا العطف والحنان ؟ أليست ستضع غلاما جميلا تصبح له أما ؟لقد كبرت في عين نفسها ، انها أصبحت كبيرة جدا كأمها .

ثم يلفع كل هذه التخيلات أحاسيس مرة لا تعرف مصدرها ولا تعلل سببها . فتسأل جاراتها والخدم اللواتي لم يكن يفارقنها لحظة واحدة قائلة : هل تتألم المرأة حين الوضع ؟ فتجيبها احداهن : أبدا يا سيدتي . وتعود فاطمة وتسأل بكل سذاجة : أيهما أصعب خلع الضرس أم الوضع ؟ فأنا قد خلعت ضرسي عند طبيب أسنان وقد خشي زوجي أن يصاب الجنين بأذى . فرفض أن أخلعه إلا بعد أن تأكد أن هذا لن يضر الجنين شيئا .

لقد كانت دهشة سعيد شديدة حينما جاءه أحمد يطلب منه ومن زوجه التوجه معه إلى المستشفى ليأخذوا فاطمة التي كانت تشعر بآلام قاسية . وكانوا كلهم يقطعون الشارع الطويـــل المؤدي إلى المستشفى تداعبهم أنسام الفجر الباردة حتى وقفت بهم السيارة أمام باب المستشفى ، واتخذت الاجراءات السريعة وأعطيت فاطمة رقما ليكون هذا رقم طفلها بعد أن يرى النور .

ووقف أحمد طويلا أمام غرفة فاطمة متأملا . . وجذبه سعيد من يده ليذهبا الى البيت يحضران ما يلزم فاطمة وطفلها من طعام ولباس ، وترك أحمد في المستشفى قلبه ولهفته وآمال الأعوام السابقة .

وما أن هبط أحمد الدور الثاني حتى شعر بثقل في رأسه وتراخ في قدميه . فأعاده سعيد الى الطبيب بمساعدة أحد الممرضين فتبين أن معه اجهادا قويا في القلب وضغطا في الشرايين الدموية ، اضطراه إلى دخول المستشفى للعلاج السريع . فأعطي رقما مماثلا لرقم فاطمة .

وفي غرفتين متجاورتين كان ينـــام أحمـد وزوجته ، هذه تعاني آلام المخاض المبرحة وذاك في شبه غيبوبة لا يكاد يعي شيئا مما هو فيه ، وكان آخر ما قاله لصهره أن ساعته قـــد دنت ، وأنه لا يأسف على شيء الآن إلا أن يطول به العمر ولو لحظاتٌ حتى يتمكن من نقع غليله واطفاء ظمئه ، وأوصى سعيدا بأن يكون الأب والجدللمولود. «أما فاطمة فما كان يجدر بي أن أذيقها ثكل الزوج في مثل هذه السن ، كلانا أخطأ في حقها ، إنني كعاصفة الخريف الهوجا تدق برعما في ورقه ، وأنت وضعتها في قفصها الذهبي وحكمت عليها أن تبقى فيـــه . كلانا أخطأ ، كلانا أخطأ . . . . »

وهنا أجهش أحمد ببكاء لم يتمالك معه سعيد نفسه ، ولكنه كفكف قطرات من الدموع كانت قد انحدرت على خديه وقال له : لا تقل هذا يا أحمد إنك بألف خير إن شاء الله وستعيش طويلا حتى يصل أيمن سن الشباب . انها مجرد وعكة لا تلبث أن تزول وتسترد قواك لتنعم بزوجك وولدك وينعما.هما بك . انك بخير ، انك بخير . . . .

هيهات يا سعيد . فقد آن الأوان ولن يبزغ الهلال حتى يغيب القمر . لقد آن للهلال أن يبزغ وللقمر أن يغيب .

وسكت أحمد طويلا ولم يتكلم بعدها ، لقد عاوده الاجهاد ثانية فخرج سعيد من عنده يتنقل بين الغرفتين المتجاورتين لا يدخل احداهما وانما يراقب عن كثب المنظرين المؤلمين ، ابنته تتلوى من شدة الألم وصهره كذلك ، وهو بينهما حائر يرجو لو استطاع أن يمسكهما بكلتي يديــه فيجمعهما في صعيد واحد في منتصف الطريق ولو الى لحظات ليتم لهما ذلك اللقـــاء الذي تمناه احمد طويلا ، واستجار بالأطبـــاء أن يعملوا شيئا علهما يلتقيان ، ولكن هيهات فقد انطلقت الحياة مغادرة أحمد كحصان جامح نفر من فارسه بعد أن قطع بحافريه الزمام ، وطار لا يلوي على شيء ، أو كقطار سريع يغادر المحطة قبل أن يصلها القطار الآخر ، إذن لقد تحقق كلام أحمد فهو في الأفق بقية قمر ليبزغ منه هلال جديد ساطع النور .

وترك سعيد تلك الغرفة الباردة التي خيم عليها شبح الموت ، واقترب من الغرفة المجاورة غرفة الحياة وسمع صوت صراخ حاد . نعم إنه أيمن الذي تأخر عن أوانه . وجفف ما كان على عينيه من دموع ، ودخل ليلثم حفيده وليقول له لقد كان لك قبل لحظات أب تاق لرؤيتك طويلا ، ولكنه فارق الحياة قبل أن ترى النور . مات بظمأ صاد ، وغلة لم تنقع .



الحركة الأدبية في العالم العربي

• صدرت للعلامة العربي الدكتور فؤاد صروف موسوعة جديدة في العلوم الحديثة عنوانها «العلم الحديث في المجتمع الحديث» تعالج التطورات التي انتهت اليها العلوم في هذا القرن وأثرها على البشر . كما عني المؤلف بتسجيل مظاهر الحركة العلمية في العالم العربي في السنوات المائة الأخيرة وردّها إلى أصولها في تاريخ العرب العلمي ، فربط الماضي بالحاضر وأبان مآثر العرب في علوم الطب والرياضيات والفلك والفيزياء وما اليها . والكتاب يقع في أكثر من ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير .

• أحدث ما صدر للبحاثة الأديب الشاعر محمد عبد الغني حسن كتاب «دراسات في الأدب العربي والتاريخ» وكله فصول تناثرت موضوعاتها وتباينت أغراضها ما بين شؤون لغوية ، وطرائف شعرية ، وصور تاريخية ، ولكنها اتسمت جميعا بسمة البحث الأصيل والاستيعاب الواسع .

• صدرت للباحث المكين الدكتور محمد أحمد الحوفي طبعة جديدة موسّعة من كتابه «الفكاهة في الأدب – أصولها وأنواعها» رصد فيه ألوان الفكاهة في الأدب وفي الحياة الاجتماعية متطرّقا إلى رأي علم النفس في الفكاهة ، مصنّفا مصادر الفكاهة كالدعابة والحذلقة واللعب بالألفاظ والمعاني ، ساردا طائفة غير قليلة من مفاكهات الأدباء والشعراء في القديم والحديث . والكتاب على طرافة موضوعه بحث علمي رزين .

• أخرج الأديب الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة كتابا جديدا عنوانه «من الأيام» تضمن فرائد من مباحثه في ميادين الأدب والعلم ولا سيما الطب ، واشتمل على زبدة تجاربه في الحياة ومطالعاته في أبواب المعرفة المختلفة . وللكتاب مقدمتان ، إحداهما للشاعر الأستاذ شفيق جبري والأخرى للأديب الصحفي الأستاذ نصوح بابيل .

• عن «الجاحظ» صدرت ترجمة جديدة وضعها الدكتور أحمد كمال زكي ، فأضيفت إلى تراجم أخرى لهذا الأديب الكبير ، أعدها الأستاذ مارون عبود وشفيق جبري والدكتور محمد أحمد الحوفي والدكتور طه الحاجري والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

• من الكتب الحديثة في السير والتراجم ظهرت هذه الطائفة «يوسف عليه السلام» للأستاذ عبد الحميد كحيل داود ، و «حفيدة الرسول – نفحات من سيرة السيدة زينب» وهو طبعة جديدة للأستاذ أحمد الشرباصي ، و «عز الدين بن عبد السلام» للأستاذ محمد حسن عبد الله ، و «تميم بن المعز شاعر الفاطميين» للدكتور حفني شرف ، و «عباس علام الكاتب المسرحي» للأستاذ صلاح الدين كامل ، و «ابن بطوطة» للأستاذ فؤاد بدوي . هذا وتصدر للأديب المؤرخ الأستاذ محمود الشرقاوي قريبا دراسة مطولة عن ابن بطوطة ورحلاته صوب فيها كثيرا من الأخطاء الجغرافية والتاريخية التي تورّط فيها هذا الرحالة .

• في الأدب الروائي ظهرت طبعة جديدة من قصة «ليلى العفيفة» للأستاذ عادل الغضبان ، كما صدرت مسرحيتان مترجمتان هما «تاسو» لجوته وترجمها الدكتور عبد الغفار مكاوي ، و «عندما تعمى البصيرة» لهنري دي مونترلان وترجمة الأستاذ وحيد النقاش .

• ظهرت مؤخرا للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي دراستان أدبيتان جديدتان هما «الآداب العربية في العصر العباسي الأول» و «الحياة الأدبية في العصر الأموي» .

• ومن بين الدراسات الأدبية الأخرى التي ظهرت حديثا «العلم والشعر» لريتشاردز وترجمة الدكتور مصطفى بدوي ومراجعة الدكتورة سهير القلماوي ، و «الأدب اليوناني القديم» تأليف باورا وترجمة الأستاذين محمد علي زيد وأحمد سلامة محمد ، ومراجعة المرحوم الدكتور محمد صقر خفاجة ، و «الدراما الألمانية الحديثة» لجارتن وترجمة الأستاذ وجيه سمعان ومراجعة المرحوم الدكتور محمد مندور .

• صدرت مؤخرا طائفة من الكتب العلمية منها «المرجع الكبير في تدريس مبادىء العلوم» لمجموعة من المؤلفين ، وقد ترجمه الدكتوران الدمرداش عبد المجيد سرحان ومحمد صابر سليم وراجعه الدكتور يوسف صلاح الدين قطب ، و «طبيعة القانون العلمي» للأستاذ محمد فرحات عمر ، و «علم الحركة والتدريب الرياضي» للأستاذ ابراهيم سلامة ، و «شخصيتك في الميزان» للدكتور عبد الكريم دهينة ، و «الكيمياء في خدمة الإنسان» لألكسندر فندلاي وترجمة الأستاذ زكريا فهمي ومراجعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل ، و «عندما اختفت الأرقام» لليونارد سيمون وجين بندك وترجمة الأديبة عفاف فؤاد ومراجعة الدكتور محمد قدري لطفي ، و «الارصاد الجوية لرواد البحار» لبرجس وترجمة الأستاذ ميشيل زكي رزق الله ومراجعة الدكتور محمد جمال الدين الفندي .

• في الطب والصحة صدرت مجموعة من الكتب منها «الطب العربي» لأدورد براون وترجمة الأستاذ أحمد شوقي حسن ومراجعة الدكتور محمد عبد الحليم العقبي ، و «أمراض الشتاء» للدكتور أنيس فهمي ، و «الطعام صحة وعلاج» للأستاذ ابراهيم البرديسي . و «صحتك في فمك وأسنانك» للدكتور مدحت فريد .

• المربي الجليل الأستاذ محمد عطية الابراشي وضع كتابا نفيسا عنوانه «أصول التربية المثالية في اميل» تناول فيه بالمناقشة والتحليل والشرح النظريات التربوية الواردة في كتاب «اميل» لجان جاك روسو .

• ومن الكتب التربوية التي صدرت أخيرا أيضا «كيف تعامل أبناءك» لولتر واديث تيسر وترجمة الدكتور عطية محمود هنا ومراجعة الأستاذ محمد كامل النحاس ، و «مشاكل الأطفال والآباء» لسوزان أيزاكس وترجمة السيدة سعاد فريد ومراجعة الدكتور أبو الفتوح رضوان ، و «التربوية المقارنة» لنيقولاس هانز وترجمة الأستاذ يوسف ميخائيل أسعد ومراجعة الدكتور رضوان أيضا .

• أعد الأديب العراقي الأستاذ مهدي العبيدي للنشر كتابا عن الأدباء المعاصرين اختار له عنوان «قمم وسفوح» .

الصفحة الضاحكة

وصفة طبية

الطبيب : اذا كنت تريد حقا انقاص وزنك ، فعليك أن تقتصر في طعامك على تناول الفاكهة والخضراوات .

المريض : حسنا .. ولكن قبل الأكل أو بعده !؟

الامر في غاية البساطة

المغفل لصديقه : انني في حيرة من أمري .. لقد أضعت عنوان صديقي ولا أدري ماذا أفعل ..

الصديق : أمر في غاية البساطة .. أكتب اليه رسالة واطلب منه العنوان .

موضة .. أسرع من الصوت

اشترى رجل لزوجته فستانا ثمينا . وفي طريق عودتهما الى البيت طلبت اليه أن يسرع . فقال لها : ما الداعي الى كل ذلك ؟ قالت : أخشى أن تنتهي موضة الفستان قبل أن ألبسه .

اعطه بقرش زيتونا

الزبون : هل لديك جبن ؟

البقال : نعــم ..

الزبون : بكم تبيع الكيلو غرام الواحد ؟

البقال : بخمسة ريالات .

الزبون : طيب .. أعطني زيتونا بقرش .

وفي اليوم التالي عاد الزبون الى البقالة فقال :

الزبون : هل لديك جبن ؟

البقال : (مشيرا الى أحد عماله) : أعطه بقرش زيتونا .

عاملان نشيطان

المزارع الأول : لدي عامل يستطيع أن يقلّد الأفعى لدرجة أن جميع الطيور الموجودة في الحقل تختفي منه ..

المزارع الثاني : ولديّ عامل يستطيع أن يقلّد الأرنب لدرجة أن الخس المزروع في الحقل يختفي .



الطفل : أنا أعرف اسم عاصمة انجلترا

الوالد : أصحيح ؟

الطفل : لا .. انه لندن .

هكذا أيضاً ..

الأحمق : لقد استغفلت قاطع التذاكر في السكة الحديد يوم أمس .

الزميل (مقاطعا) : وماذا فعلت ؟

الأحمق : قطعت تذكرة ذهابا وايابا .. لكني ذهبت ولم أرجع ..

لماذا !؟

الأول : حقا .. ان الرجل الذي مات بالأمس كان طيبا للغاية .

الثاني : كيف عرفت ؟

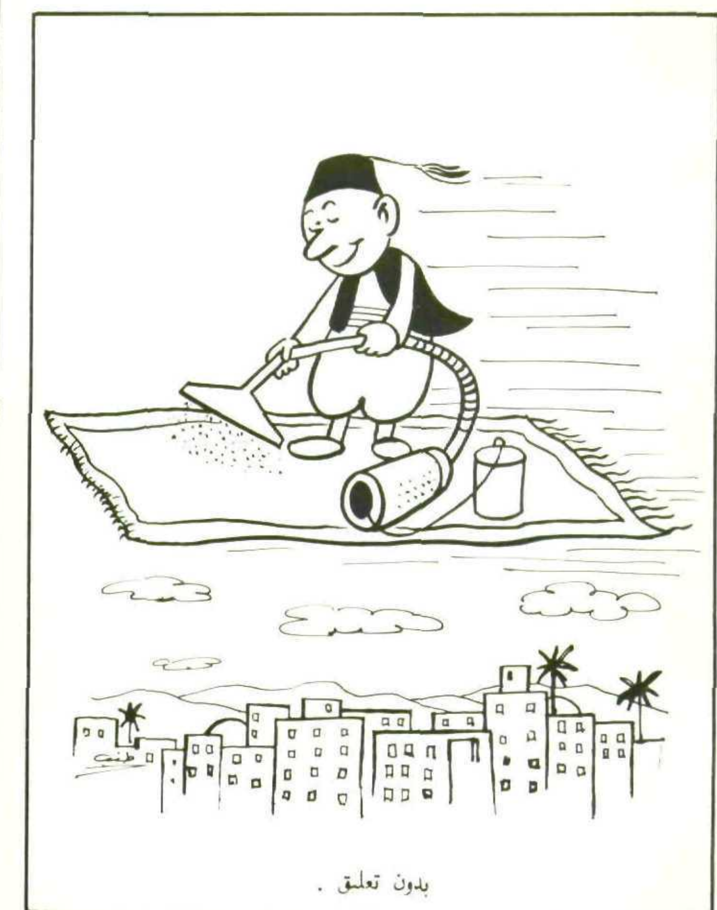
الأول : لقد أحال كل ما يمتلكه الى الجمعيات الخيرية .

الثاني : وماذا ترك وراءه ؟

الأول : أولاده الأربعة وأمهم ..



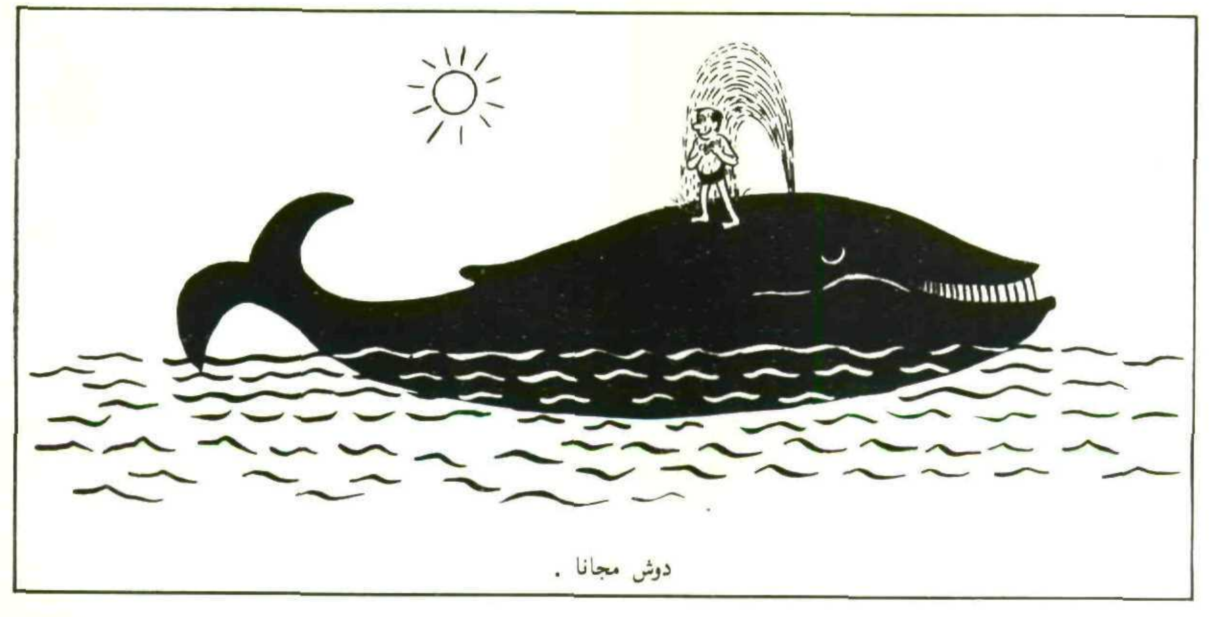
أتريدني أن أدهس هذا الفأر المسكين ؟!



بدون تعليق .



تاجر القبعات : من ميزات هذه القبعة انك
لا تحتاج الى نظارات شمس .



دوش مجانا .



جانبٌ من ميناء الملك عبد العزيز بالدمام